المقتطف



عبد الناصر في ذكرى مولده

دار صوت العرب للثقافة والاعلام

المقتطف

عبد الناصر
فى
ذكرى مولده



المقدمة

هذه نوعية جديدة من الإنتاج الإعلامى الثقافى وهى جديدة لأنها تبحث وترصد ماتفرزه الأفكار، والأقلام فى شأن القومية العربية والصراع الدائر بينها وبين أعدائها المتغير منهم أو الدائم، التقليدى منهم كالكيان الصهيونى المجتمع من شتات، وسمى نفسه «إسرائيل» على أرض فلسطين المحتلة .ففصل بين تلاحم جغرافية الوطن والأمة العربية ويحاول أن يمزق تاريخها فيحول دون التواصل والوصول إلى مستقبلها، غايتها الوحيدة .

وهى جديدة لأنها ليست كتاباً، لأن للكتاب وحدة موضوع، ومباحث وأبواباً، وفصولاً وفهارس .

وهى جديدة لأنها أيضاً ليست مجلة .لأن المجلة دورية أو غير دورية ..أسبوعية كانت أو فصلية، والمقتطف ليس كذلك لامن حيث الشكل ولا من شكل المضمون .فمن حيث الشكل فالمجلة لها غلاف ورقم عدد، وعدد صفحات وتاريخ محدد أسبوعية أو شهرية أو فصلية، ولها رئيس تحرير ومحررون، ومن حيث شكل المضمون فالمجلة تعتمد الالتزام المهنى الذى يحكم المطبوعة الصحفية المتخصصة سياسية كانت هذه المطبوعة أو اقتصادية ..فنية كانت أو رياضية تعتمد الصورة والخبر والتحقيق والمقالة، عمداً وأعمدة .طابعاً وطبعاً ..

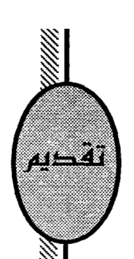
بينما المقتطف كنوعية جديدة من الإنتاج الإعلامى والثقافى تعتمد القضية أساساً والمعالجة اجتهاداً والاختيار انتقاءً .

ومن هنا يجىء المقتطف جديداً فى الأسلوب والشكل والمضمون فهو ليس مطبوعة صحفية أسبوعية أو فصلية أو شهرية، وليست سلسلة تحمل ترتيباً من الأول إصداراً إلى الاخر مصادرة، ولهذا فهى جديدة ..

وهى جديدة لأنها تطرح مـاليس مطروحاً وتطرق ماليس مطروقـاً ..تطرح قضية مستقبل العرب، والعالم مشغول بمستقبل أمريكا ورؤسائها بالوطن والجنسية وحاضر الرؤساء أتباع أمريكا بالتواطؤ والتجنس .

وتطرق على مواطن القوة فى الأمة العربية تستنهضها حتى تصل إلى هدفها فى الوحدة، بينما الكل مشغول بـوهم النظام العـالمى الجديد، والسيد الأمـريكى الوحيد وأن الـوحدة العـربية «موضة قديمة »!!

والمقتطف يطرح مستقبل وحدة العرب ويطرق مراكز القوة فى أمة العرب .وليعلو من جديد صوت العـرب ويتحقق مجد العرب –وهو ات لامحالة فقـد بدأ بالفتح العربى الإسـلامى، ومر بالنصر على يـد أبطالـه، وكان أحـد النماذج ريادة وزعامـة «جمال عبد النـاصر » الذى يـولد المقتطف فى ذكـرى ميلاده الــ ٧٥ من مصر وبمصر ..فهى مقصد الفتح ومصـدر النصر ..وإلى صفحات مشرقة، والجزء الأول فى سفر القومية العربية والمقتطف.



عبد الناصر فى ذكرى مولده

عبد العظيم مناف

ثلاث نقاط على حروف الثورة

د . عصمت سيف الدولة

عبدالناصر فى ذكرى مولده

بقلم:
عبد العظيم مناف

عن جمال عبدالناصر كتب الصحفى والدبلوماسى. الأديب والشاعر. فصدرت عشرات الاف من الكتب بأقلام عرب وأجانب، ومئات الاف من القصائد والدواوين، ومثلها من الأحاديث الصحفية والإذاعية والتليفزيونية ، اشتهرت أقلامها من خلال العلاقة بعبد الناصر.

اقترن اسم عبدالناصر بحركات التحرر.. وعدم الانحياز.. والحياد الإيجابى وحرية المواطن والوطن ووحدته.. وقبل ذلك كله مواجهة الاستعمار - الدولى - انجلترا وفرنسا، -والعصابى- الكيان الصهيونى.

وكل هذه الأقلام أجمعت على اتساق الرجل «ناصر».. سيرة ومسيرة ، رؤية وسلوكا.. مسلكا ومسكنا. فهو أى «ناصر» لم يغير زيا ولا زاداً فلم يلبس برنيطة أمريكية ولا عباءة نفطية لم يتوكأ على عصا، ولم يستظرف مع مستثمر، لم يكلف مصمماً أجنبياً بملابس السهرة أو العمرة.. للحرب أو الكامب.. وكانت ألوانه متقاربة وزيه زى العامة وكذلك زاده « الجبنة البيضاء» التى عرفها عنه ومعه كل البسطاء .فلم يغير ولم يتغير زيا ولازادا.

أما سلوك ومسلك فقد عرف عبد الناصر بالاستقامة فلم يساوم أو يسمسر ولم يعيرنا بأنه يطعمنا. ويقضى الليل سهرا والنهار سفرا لنأكل ونحن الذين لا نشبع، ولم يتعال بأنه قبل ورضى أن يحكمنا ونحن الذين لا يقبل أحد حكمنا لأننا لا نحكم. ولم يقل إنه أول وأخر الفراعنة كما قال الذى إنقلب على ثورته.

لم ينشىء لنفسه تجارة ولم يقبل بمتاجرة. فلم يحتج إلى تبرير أن السيدة خديجة زوجة الرسول عليه السلام كانت تتاجر، وتناسى عمدا من تعمد اغتياب العفة وروادها والتاريخ وصناعه. أن السيدة خديجة تاجرت حتى نزول الوحى والنبوة والرسالة، وبعدها بالنسبة لها أصبح الأمر مختلفا والبيع والشراء متوقفا.

كان جمال عبدالناصر من الفقراء وللفقراء فاهتم بأبنائهم. أقام لهم المساكن الشعبية التى لم تتأثر بالكثافة السكانية المتزايدة رغم الكفاف الخدمى لهذه المساكن بعده، وظلت إيجاراتها رمزية حتى أن

أحد العمال اشتكى لأن فاتورة «النور» لغرفتين وصالة ثلاثين ضعفاً لإيجار الشقة!!

اخرجت المساكن الشعبية فى زينهم وشبرا والحلمية وعين شمس وامبابة فى زمن الثورة المهندسين والأطباء.. المحامين والقضاة المبدعين والدعاة.. الضباط والمحاسبين..لم نفقد فيها أكثم ولا هيثم فهى مبنية بضمير المهندس ورقابة الثائر وعمال ومهندسى الثورة.

بينما أفرزت نفس الأحياء «امبابة وعين شمس والزاوية الحمراء» وغيرها فى عهد الردة إرهابا وعنفا وجهلا. فقد أصبح التعليم فوق الطاقة، والعمل مجرد أمل يقترب من السراب أو الخيال.. وخيم الجهل وأطبقت البطالة فى ظل غيبوبة الإدارة، وكان الرصاص والدم الأعمى الذى لايدرك أن الذى يموت أو يستشهد .إنما هو أغلى من تملك مصر وهو شبابها، ضابطا كان أو مضبوطا.

كان السلام الاجتماعى حقيقة يحمى ماكينة المعمل وينسج ثوب العامل وسلعة المستهلك، وحاجة السوق، ودفء العلاقة بين السلعة والعملة. الرواتب والمطالب.

كان حديثه عفاً ، وحدثه وهاجسه حرصا على إذابة الفوارق بين الطبقات. فلم يترك امبابة أو عين شمس مدينة ونهباً للرياح وللاشباح ، بينما يدافع عن راكبى «الشبح» أو «الشبوحة» أو «الأشباح»!!

كان «عبدالناصر» يعمل مع الفقراء فى صمت. وعيا وليس إعياء، ومع الأغنياء جهرا وليس فجرا أو فخرا.. لا يزدرى انتاجا ولا منتجاً، يعتز بوطنه خامة وسوقا ومستهلكاً . مع البسطاء مدافعا للأغنياء مجابها وضد الأعداء مقاتلا دولة أو دائرة ملكا أو مملوكا.

بدأ تنظيمه خطوة نحو الثورة بوحدة القوة، وقوة الوحدة لا ينفى الاخر فجاء نسيج الاحرار من الضباط تجسيداً للقوى السياسية والفاعلة على أرض الواقع حتى وقع الخطأ الخطل من هذه القوى سواء تلك التى تحركت فى دباباتها الثورة ترسل بصيص نورها وشعاعها لشعبها، (مراكسة) أوشيوعيين أو تلك التى تحركت بعدها فى ميدان المنشية بالإسكندرية (من فصيل الإخوان المسلمين).

حفظ ناصر للأمة وحدتها بلدا ووطنا.. فكان تعبيرا عن فولاذية الإرادة وعبقرية الإدارة ، خرجت له الملايين فى كل مكان تهتف باسمه مولوداً ووليدا.. ثائرا وزعيما.

لم يهادن عدواً للأمة.. رجعيا محليا .أو طامعا أجنبيا. أو غاصبا صهيونيا .. فكانت دائرته عربية إسلامية إفريقية، وثلاثيته حرية اشتراكية وحدة. ومجموعته نهرو. وتيتو. سوركانو، لومومبا وعالمه الثالث وعدم الانحياز والحياد الإيجابى.

وعمله التنمية فى الداخل ومواجهة أعداء الخارج، ومبدأ حرية الأرض العربية لا تتجزأ، وهدفه وحدة الوطن هدفاً قبل الصف منذ منطلقه الفالوجا مروراً بهاجسه القدس وصولا وتواصلا مع أجزاء وطنه نحو الوحدة من مصر وبمصر.

وبعد الردة على ثورته أصبح الخلف خلفاً والأعداء أصدقاء، والقرين قريباً والخونة حفظة مستشارين وكهنة والمجموعة بيجين، ، وشامير ووايزمان وشارون ونيكسون واربين وتشومى وموبوتو، والشاة والأمير وبقية الاستعماريين والمرابين من الإرهابي بوش إلى الصهيوني رابين، والكنيست فى تل ابيب اقرب من الجامعة العربية فى ميدان التحرير جاور وجاوز ملهى شيراتون الجزيرة مجلس قيادة الثورة.

كان عبد الناصر قارئا فارتبط بالكتاب، ومفكراً فعرف المبدعين، ومستمعا جيدا فتعرف على القول والقضية. وجهة النظر ووجهة التوجه.

ولأنه كان كذلك فقد ارتبط كل هؤلاء به قلما وقلبا مهما إختلفت آراؤهم فى المسيرة فقد اتفقت على السيرة.. عطرة. نظيفة لم تتناوله مجلة اقتصادية بأنه صاحب رصيد أوتقاضى «شيك» كما لم تدخله احتراماً قدرا واقتداراً مسابقة « أشيك» أو الرجل «الشيك» فى العالم.

لقد صدرت عنه عشرات الاف من الكتب كرجل وخلق زعامة وأمانة رؤية ورويه.. معارك ومنجزات.. سياسات ومؤتمرات. زعامات وصداقات ومهمات.

بقلمه المشاق كتب القلم العلم الكاتب العربى الكبير «محمد حسنين هيكل» فى مخطوطه المفحم «لمصر.. لاالعبدالناصر» أن نسبة النمو فى مصر فى الفترة من ١٩٦٠ إلى ١٩٦٥ وصلت إلى ٦,٧ وهى تضاعف ٤٠ سنة قبل الثورة ولم تصل إليها دولة من دول العالم الثالث. أو الدول المثيلة التى وقفت عند ٢,٥ فقط: ويتصدر هذا الفصل المهم من الكتاب الضخم مواد هذا العدد على الصفحة.

لقد تحقق وأنجز ذلك كله فى ظل حروب ثلاث من أعداء الخارج «حرب ٥٦، ٦٧، والاستنزاف ومعارك فى الداخل ضد الرجعية على مستوى الوطن والبلد والاستغلال والاقطاع والجهل والمرض. وانتصر فى كل هذه المعارك فأمم وأمن فى ١٩٥٦، المال والماء «قناة السويس والسد العالى» وفى ٦٧ خسر معركة خسارة فادحة، ولم يخسر قضية ولا إرادة..

واصل معاركه ودخل الحرب ضد عدوه الدائم بعد أسابيع حين اغرق ايلات، وخلد اليوم عيداً للبحرية، وأسقط للعدو طائرات، ودخل حرب الاستنزاف ومات الصهيونى «ديان» بعد أن طال انتظاره مكالمة الاستسلام أو الصلح أو الاعتراف ولم يسمعها إلا بعد الردة. التى أهدرت مابناه عبدالناصر جيشا وجأشا وتهيئة وتنمية ، ووصلت الردة إلى ١,٥ بالناقص بعد أن وصلت بها الثورة إلى ٦,٧ بالزائد ، ورقم التنمية كاف لمعرفة الناقص والزائد .. بين الثورة والردة .

انتصر للثورة وبالثورة فى كل مكان فى اليمن والجزائر وليبيا والسودان والعراق. وجعل الوحدة واقعا فكانت الجمهورية العربية المتحدة تحمي ولا تهدد .. تصون ولاتبدد.. تشد أزر الصديق والشقيق، وترد كيد العدو البغى

كان عبدالناصر يرى - بغير أن يتوارى - أمريكا عدوا فهل كانت إلا كذلك فى زمانه أو فى زمان أعدائه من بعده فى الجولات الثماني أو فى الحروب الست.. وهل كانت إسرائيل صهيونية توسعية غاصبة وأن سلام الأمر الواقع لا يعدو إلا أن يكون كالهدوء الذى يسبق العاصفة وإن الصراع صراع وجود وليس صراع حدود كما رأها ناصر العرب مهما حاول فريق الآفات والدور ، واستيراد الشتلات وتصعير الخدود الذين يرون أمنهم وحزبهم فى إسرائيلهم؟!!

إن الثوره تتصادم مع الردة .. والثورة تقاوم الفساد.. وقد فعلت ذلك بالرقابة الإدارية والإرادية .. والردة أغلقت الرقابة وفقدت الإرادة. والثورة قدمت القدوة نظافة، وهيأت البيئة ساحة.. وتسلحت بالثقافة والإرادة وتلك مكونات اساسية وأسلحة رئيسية فى الثورة وللثورة.

وكما يقول أستاذنا الكبير محمد حسنين هيكل:

(إن الحكم على أصالة أى حركة وطنية أصبح مرهونا برؤيتها).

وكان ذلك هو الفارق بين ناصر الثورة. سلفا. وشخوص الردة خلفا.

ليس من قبيل الصدفة أن يخرج طلبة الجامعة الافاً مؤلفة من أبناء الشهداء .. العمال والفلاحين.. المثقفين وأصحاب رؤوس الأموال الوطنية. دعاة التحرير والاشتراكية أو العدالة الاجتماعية ضمان

الوحدة العربية ليس من قبيل الصدفة أن يخرج كل هؤلاء من الجامعة فى مواجهة نازية القرن وإرهاب العصر الصهيونية إسرائيل.. يحرقون علمها على مقربة من مستوطنتها المسماة بهتانا وتزويرا «سفارة»!! تلوث هواء النيل وأجواء الجيزة

ليس من قبيل الصدفة أن يخرج هؤلاء أكباد والشهداء والشرفاء فى نفس اسبوع ميلادك، ونفس ذكرى لقائك بهم فى جامعتهم عام ١٩٦٨ حين صارحوك وصارحتهم فلم تحبس فردا أو تحنث وعدا ورددت معهم « نعم عايزين حكومة حرة.. لأن العيشة بقت مرة» ولم تخدش حياء، ولم تخدش حياءً ولم تجرح حيا.

دمت حيا وخلدت فى ذمة الله فكم من حى ميت. وكم من ميت حى.

يحيا عبدالناصر الميت الحى ويموت الأحياء الموتى.

من حلو الكلام – قال الشاعر الكبير « نزار القبانى »

يا مَنْ تبكونَ على ناصرْ..
السّدُ كانَ صديقَ الشمس..
فكفّوا عن سَكْبِ العَبَراتْ..
السيِّد مازالَ هنا..
يتمشّى فوق جسور النيل..
ويجلسُ فى ظلِّ النخلاتْ..
ويزورُ الجيزةَ عند الفجر..
ليلثم حَجَرَ الأهراماتْ..
يسألُ عن مِصْرَ.. ومَنْ في مِصْرَ..
ويسقي أزهارَ الشُرفُاتَ..
ويصلّي الجُمْعةَ.. والعيدَيْنِ..
ويقضي للناس الحاجاتْ..
مازالَ هُنا عبدُ الناصرْ..
في طَمْي النيل، وزَهْرِ القطن..
وفي أطواقِ الفلاّحاتْ..
في فَرَحِ الشعب..
وحزن الشعب..
وفي الآمثال،، وفي الكلماتَ..
مازالَ هُنا عبدُالناصرْ..
من قالَ الهرمُ الرابعُ ماتَ..

★ ★ ★ ★

ثلاث نقاط على حروف الثورة

بقلم الدكتور :
عصمت سيف الدولة

نقطة أولى ١٩٤٦

بعد سبع ساعات طويلة وقف القطار. من المحطـة إلى شركة "مقار" مقار كان "قنصلاتو". كان أعيان الريف يلتحقون بخدمة الدول الاجنبية ليحتموا بالامتيازات. كان الاجانب لايخضعون للقانون المصرى فى مصر. "القنصلاتو" مقـار صاحب امتياز المياه والنور والمواصـلات فى محافظـة أسيوط. من شركة مقار تتسكع "الحلزونة" (الباص) على قنطرة أسيوط متجهة إلى شرقى النيل. تترك وراءها كل ما يمت إلى القرن التاسع عشر بصلة حضارية لاسكك حـديدية، لاطرقات، لامياه، لاإنارة. لاشىء أضيف منذ عهد المماليك. ليس الأمـر سيئاً إلى هذا الحد. الطرق ممهدة. أسلاك الكهـرباء ممتدة فوق القرى حتى قريـة "الساحل". أربعون كيلومترا جنـوب أسيوط. حدائق وقصور وسيـارات وكهرباء ومياه "السـاحل" قريـة عائلة محمـد باشا. كـان والده مرشحـاً للملك. رشحه الانجليـز. ابتداءً من «الساحل» تغيب المدنية، "الحلـزونة"، ومن فيها غارقة فى سحابة التراب التـى تثيرها، تلائم السيارة العتيقة بين حـركتها وحفـر الطريق وتكاد تتمـزق أوصالها. أنفـاس الناس المكدسـة حاميـة. جدار السيارة ملتهب. التراب الساخن يهرى الصدور. شمس يوليو / تموز المحرقة تمد كل شىء بقبس من لهيبهـا. الناس لايتكلمـون "يكحون" فقط. وامـرأة تتقيأ وطفلتها تبكى. تقيىء من داخل حجـابها. النساء محجبـات فى الصعيد. يتجمع الناس في جـانب السيارة فتميل ويلعنهم السائق. يـولون المرأة ظهورهم ويفسحـون لها حتى تقيىء خارج حجابها. من جوفهـا إلى جوف السيارة. لاتزال الشهـامة فضيلة فى صعيد مصر.

الأفندى القـادم من القاهـرة تحت كومـة من البشر. رائحة عـرقهم نفاذة. يكـاد يقيىء.. عيب هل يقيىء هو وامرأة فى وقت واحـد؟ وماذا يقول الناس عندما ينتشر الخبر؟ لم تفلح سنـوات الدراسـة فى الجامعة. لايـزال يعيش قيمه القبليـة. "الحلزونـة"، الركيكـة الخليعة، تتأرجح على الطـريق وتشق غبارها بصعوبة لمدة خمس ساعات، ثم تكح وتبطىء وترتعش حتى تقف، قطعت ستين كيلومترا. هنا المركز.السلطة الدولـة. هنا القضاة الذين يحكمون ورجال النيابـة الذين يحققون فى الجرائم. ورجال الشرطة الذين يطاردون المجرمين. والمدرسـة الابتدائيـة بتلاميذها الاربعين.هنا المركز وليس فى المركز كهرباء ولامياه ولامطاعم ولافنادق ولاطرق مأمونة.

هنا منفى الموظفين. كل شىء توقف عند "الساحل". لان "الساحل" قرية" بيت السيادة" لماذا ـ إذن ـ لاينقل المركز إلى القرية؟. "بيت السيادة" لايريد أن تجاور سيادته، فى قريته، سيادة القانون.

من المركز جنوباً. على ظهر حمار. منذ أن كان "الأفنـدى" طفلا. كان يتصايح مع قريته، كل أفراد قريته حتى المحجبات من النساء، يتسابقـون إلى الطريق ينتظرون وصول سحابة من التراب الكثيف بـانت فيما يلى شجر السنط مـن ناحيـة الشمال. الـرجال يعجبـون. والنسـاء يتهامسن معجبـات. والاطفال يصخبون ويعبرون عن اعجـابهم بكلمات منكرة. وعندما تمر سحابـة التراب يزفها الجميع مصفقين. يرددون "الكمبيل أهـه.... الكمبيل أهه". منـذ أن كان طفلا كـان مرور السيـارة فى ردائها الترابى الكثيف عرسا تزفه القرية على قارعـة الطريق. يقولون إن الزفة لاتتكرر إلاكل شهرين من قبل كانت تتكرر كل عام أونصف عام. لايزال الحمار مطية للذين يملكون الحمير "على أى حال".

الحمار ثقيل، والتراب ثقيل، والحر ثقيل، وكل شىء بـاهت فى وهج الشمس.. هو على ظهـر الحمار

وبضعة من أبنــاء عمومته يحيطون بــه مرحبين كثيراً ثم دون الكثير، ثم قليلا بعـد عشرة كيلو مترات انقطعت الاصوات ، إذ انقطعت الانفاس وأصبح الموكب جنائزياً حقاً.

فى الجنائز يحدث الناس أنفسهم أحاديث حلوة. وراء قناع التجهم الجنائزى تعربد ذكريات مرحة. كم مرة قطع هذا الطريق ذهــابا وعودة. مئات المرات. ربما آلاف المرات. على ظهر ذات الحمار؟ لا . على ظهر أم الحمار ذاته. فى الفجر من صباح كل يوم تحمله إلى مـدرسته. وتعود فتحمله إلى قريته. فى أيام الشتاء "يصرونـه" فى قطعة من القماش السميك، ويضعـونه على ظهرهــا كما توضـع "الخضروات" المرسلة إلى سوق المركـز . ووراءه على ظهر ذات الحمارة، ابن عمه الكبير يضمه إليـه حتى لايتدحرج من فوقها. نام ابن عمه مرة فتدحرج فى شرنقته السميكة إلى أن أدركوه قبل أن يغوص إلى قاع الترعة.

هذه هى القرية.. حمدا لله على سلامتك.. الله يسلمكم.

قال له عمه ألف مرة أسبــابا، لم يعد يذكرها، كانت قد ألجأت جـده القديم إلى هذا المكان من وادى النيل. على امتداد النيل العتيد اختار جده تلك البقعة التى يجرى فيها النيل تحت سفح الجبل الشرقى. البقعة التى لاوادى فيها إلا أشهر معدودات من كل عام. تسخر القرى الأخرى من أن جده القديم كان يجب أن يجلس على حجر ويـدلدل قدميه الحافيتين فى الميــاه. كان لايحب الطين. تكاثـر النسل فنثروا منازلهم على سفح الجبل ذاته. كأننــا فى لبنان.أربعة آلاف شخص يعيشون كالماعـز فى منازل منثورة بين الصخـور. أين هذا من لبنــان. صخور الجبل الشرقى جـرداء إلا من الأفاعى والثعــابين والبشر. وأسراب الخفــافيش التى تسكن الكهـوف. ولكل شىء وجهــه الاخـر. يحاصر النيل القـريـة ثـلاثـة أشهر إبــان الفيضان. وتصبح القـرية مستقلـة حقا. حتى الصراف لايستطيع أن يصل إليهـا ليجبى الضرائب. حتى رجال الشرطـة لايستطيعون الـوصول إليهـا ليقبضوا على المجـرمين. أما البريـد، أما الاطباء، أمــا المعلمون، أما الصحف، فلاتــأتى إليها فى أشهر الفيضان. لا ، ولافى غير أشهـر الفيضان. تلك من عناصر الحياة التى لاتغادر المركـز جنوبا فى أى حال . الفرصة إذن منــاسبة. حفلات الطهور وحفلات الـزواج كلها فى أشهر الفيضان. مــادامت أقدام جباة الضرائب والشرطة قـد انقطعت فليفرح الناس. وتنقضى الأشهر الثلاثـة فى عرس متصل. وأصبح ذلك تقليدا لم ينقطع إلا فى صيف ١٩٦٧.. كان ذلك تعبير الفلاحين الصامت عن مرارة الهزيمة.

تلك قفزة طويلة

نحن فى صيف ١٩٤٦. القريــة محاصرة بالمياه. حمل "الأفندى" على طوف مـن البوص إلى منزل أهلــه، وشارك فى أعـراس العــام. ورأى نفسه مـرة اخـرى فى مئات الأطفــال العـرايــا الذين يعبثـون ويتعابثـون فى لجة المياه العكرة ويصطــادون صغار الضفادع. لم يغرق إلا واحـد. عندما كــان طفلا صغيرا كان يغرق كثيرون. ويمـوت الكثيرون من لدغات العقارب. يـدفن الأطفال فى السفح ولاتنقطع الأفـراح، لايحزن الناس فى الصعيـد على من يمـوت قبل السن المفيد. قبـل أن يرعى الماعـز أو يحمل الفأس أويسرق من القرى المجاورة أو يجيد اطلاق الرصاص .

"الأفندى" فى هذا العــام رجل من رجال القانون. اضيـف إلى تقاليد القرية تقليـد التحكيم. مابين عرس وعرس تكاد تقـوم أسباب جنازة. كل الخصوم يطرحون على "ابنهم" مــا يختلفون فيه إنه ابن الطرفين "الخصمين" وعليه أن يكون عادلا. كل أب يرى عدالة ابنه فى طاعته. عليه أن يقضى لصالح الطرفين، الخصمين مستحيل . وتكــاد تنقسم القرية على مـدة صحة نسبتــه إليها. لوكــان يملك مائة جنيه لاأكثر لأثبت لهم أنه ابن مطيع لكل منهم. وفيم يتخاصم الجوعى العرايا الذين اختار جدهم تلك البقعة الجرداء حيث يتصل الماء بالجبل؟. ثمار موسم زراعة الشتــاء. ولايختصمون جميعا فيما يزيد عن مــائة جنيه. وهم فى هـذا يقتتلـون حتى الموت فى كثير من الأوقات. يقتـل فى القريـة رجل من أجل جحشه الذى قضم بصلة. ويموت قاتله ثــأرا. إنهم يتعاملون مع الحياة على أساس قيمتها الحقيقية.. وقيمة الحياة فى القرية لاتساوى جحشا أوبصلة.

قبل أربعة أعـوام كان هنا ورأى أهلـه يتساقطون مـوتى في أماكنهم ويحملـونهم بالعشرات إلى سفح الجبل. بلاجنائز. كثر الموتى فاستهلكت جنـائز الأولين منهم مافى البيوت من بن وخبز وجبن فأصبح الحزن حقيقة . أصبح حـزنا صامتـا بدون طقـوس. أصبح حزنا على الموتى وعلى الأحيـاء. وتساوت المقبرة والبيت الفارغ ممـا يملأ البطون. كان ذلك عـام الملاريا. المرض الذى يعالج بـالشبع . امتد إلى قرية الجوعى فرأى أهله يحملون إلى المقابر بـالعشرات. ولم ير أبدا، أبدا، أبدا، طبيبا أوممرضا أوحتى دواء. حتى مأذون القرية المكلف بقيد المتوفين مات فلـم يكتب أحد أسماء الذين ماتوا . فلما أفتى أهله أن كلوا أى شىء تجدونه ذلك هو الدواء لم يأكلـوا أبقارهم ولا أغنامهم ولادجاجهم. وهل يأكل الناس أنفسهم. فى غيبة الأرض، يستوى الانسان والماشية غلاء فى سوق النفوس. فانطلق الشباب يصيدون الثعـالـب من شعـاب الجبل . وأكـل معهم ثعلبـا مشـويـاً ،ثم حمد اللـــه على أن "الضرورات تبيح المحظورات".

«الهمامية» . تلك القرية .منحها السد العالى واديها. الجم النيل وحكيم طوفانه فانحسر عن الأرض من أجل البشر فنـزل أهل القريـة من شعاب الجبل يـزرعون الأرض الخصبة ويبعثـون بأولادهم إلى المدارس الثانـوية.. لأن فى الهمامية مدرسـة إبتدائية ومساكن للمعلمين والمعلمات. وشبـاب الهمامية يلعبون النرد فى ناديهم الرياضى وهم يتابعون برامـج التليفزيون بعد أن ترك كل واحد منهم مذياعه (الترانزستـور) فى منزله. وفى الموقع الـذى سبق أن وقف فيه الركب الجنـائزى عام ١٩٤٦ مستشفى صغير (وحدة صحية) فيه طبيب مقيم وصيدلية تمنح العلاج والدواء بدون مقابل. بجوارها صرح من الأسمنت المسلح يحمل على رأسه خزانا من المياه النقية ليشرب أهل القـرية ماء بعد أن كانوا يشربون طينا.

أما فى مدخل القـرية فمجمع استهلاكى يمد أهلهـا بما يريدون من بضائع فلم يعـد أحد يذهب إلى السوق على ظهر الحمار. أما المقهى المجاور فلينتظر فيه اولئك الـذين يريدون أن يركبوا "الباصات" إلى المركز أو إلى مشاهدة السينما فى مـدينة أسيوط ثم يعودون. وفى منزلنا القـديم تتكدس المخصبات والبذور المنتقاة تـوزعها "الجمعية الزراعيـة التعاونية" على أهل القريـة الذين أصبحوا زراعيين. وفي القريـة مكتب للبريد . وفى القـرية هاتف "تليفـون" غير هاتف العمدة. وفى القـرية مئـات من الفتيان والفتيات الذين يغادرونها فجر كل يوم بسيارات تنقلهم إلى حيث يعملون أو يتعلمون.

كل شىء قد تغير وانتقلت القرية من عهد المماليك إلى القرن العشرين .

●●●

نقطة ثانية ١٩٤٧

....دق على الباب،

ـ على . ولد ياعلى .اصح.

ـ أبى . لايزال الليل ليلا.

ـ أى ليل يـاكلب يااين الكلب. قلت لك اصح. قم من جوارهـا لتدرك السوق. أمامك مشـوار طويل. لابد من أن تأخذ أول "معدية" قم ياولد.

ـ طيب . طيب. دعنى لحظة فقط.

ـ قم يـاولد أنـا عارف. لافائدة فيك ولاق جيلك مـادمتم تعودتم النـوم فى أحضان النساء اتـركيه ياامرأة.

ـ وخرج على إلى أبيـه . وعلى شاب كالرجال طولا وعـرضا وبناء متيناً . ثم إنه قـد زفت إليه زوجته منذ ثلاثة أيام .

ـ أبى حرام عليك لايزال الليل ليلا.

ـ نحن فى الصبح ياأعمى .

وابتسم على ابتسامة لم يرها والده الشيخ الضرير. وصحب أباه إلى المسجد ليصلى بضع عشرات من الركعات تعويضا لمافاته أيام الشباب قبل أن يصلى الفجر. وعاد به إلى المنزل.. طار النوم وعليه أن يدرك السوق. أمس خاطت له عروسه عشرين جنيها داخل جيبه حتى لايسرق منه ثمن البقرة. أولاد الحرام كثير فى سوق المركز. والبقرة هى الركن المكمل لبناء الأسرة... لايكمل الزواج إلاإذا دخلت مع العروس بقرة. وها هو نصف المهر ياعلى و "النقطة" التى أهداها الناس لك يوم عرسك لتشترى البقرة فتصبح رجلا ورب بيت. هذا ماكان والدك يستعجله .. أن يراك رجلا ورب بيت قبل أن تشرق شمس اليوم الرابع من زواجك. وقد استعجل فى الحديث عن بقرتك أمس فعرف الذين صاحبوه فى صلاة العشاء أن علياً سيشترى غدا بقرة.

ارتجف على. إن على الطريق من يتربصون به لاشك فى هذا. فليستعن بابن عمه أحمد. وأحمد "خفير نظامى" يحمل بندقية حكومية ويهابه الناس. ثم إن أحمد لايقضى الليل فى أحضان امرأته. إن ابنه الابله أمين يشغل موقعه منذ بضع سنين. ولو أراد أن يشغله لما استطاع إلاتحايلا. ولقد علمه أحمد قبل زواجه كيف يحتال فى الوصول إلى زوجته عبر أجسام البنات والأرامل اللاتى يملأن صحن الدار. ثمانى نسوة ورجلان وشيخ ضرير وغلام أبله هو أمين. تلك هى الأسرة التي أضيفت إليها بالأمس عروس وتضاف إليها اليوم بقرة.

لاحول ولاقوة إلابالله.

بيت وخرب.

قال قائل : كان الجدعان يعبران القنطرة فوق الترعة الصغيرة عندما انطلقت الأعيرة النارية. سقطا فى مياه الترعة. سقط على بثروته. وسقط أحمد وبندقيته. وعندما تجمع أهل القرية وانتشلوا الجثتين كان على وأحمد ينقصان الحياة والثروة والبندقية .اختلس الجوعى المتاعون بقايا قتلاهم . الجوع كافر. نسوة القرية كلهن يولولن فى منازلهن فتجمع أصواتهن فى صدى واحد يردده إلى القرية الجبل الذى تقوم على سفحه. أما النسوة اللاتى يغرفن من الطين ويضعن على رؤوسهن ثم يدرن في حلقة ينشدون أغانى تقطر حزنا على ايقاع ضرب خدودهن فهن القريبات من على وأحمد. عروس على غير مدربة. إنها تقع كثيرا قبل أن تتم الدورة وتحت ظلال أشجار السنط يجلس الرجال وقد دفنوا رؤوسهم بين أرجلهم ولاتسمع إلاهمساً.

لا حول ولاقوة إلابالله.

بيت وخرب.

أما الشيخ الضرير فقد شل حين بلغه النبأ. أما أمين الغلام فلايعلم أحد أين ذهب عشرون ساعة مضت قبل أن تنتهى النيابة العامة من التحقيق وتأذن بدفن الجثتين. كانت النيابة العامة قد وصلت بعد أن مضت خمس عشرة ساعة. كانت قد علمت بعد أن مضت ساعتان.كان هاتف (تليفون) العمدة قد أبى أن يبلغ رسالته قبل أن تمضى ساعة.

ودفن على ودفن أحمد. ومن يمت مقتولا لاتقام له جنازة ولايقبل فيه عزاء إلايوم الثأر.

ومن الذى يثأر؟ أذلك الغلام الأبله؟

لاحول ولاقوة إلابالله.

بيت وخرب .

مات الشيخ. وتزوجت من تزوجت. والتحقت الصغيرات بخدمة موظفى الحكومة وانتقلن معهم إلى حيث لايعرف أحد كما فعلت من قبل مئات الفتيات الصغيرات. وغادر أمين القرية إلى حيث لايعرف أحد كما فعل من قبل مئات الغلمان . من حين إلى حين تتردد الشائعات أن بنت فلان أصبحت داعرا. وأن ابن فلان أصبح مجرما. ولاأحد يهتم فقد كان الموت جوعا أوغدرا هو البديل على أى حال .

وفى ذات أصيل .. بعد سنين.

كـان "الأفندى" جـالسا على مقعـده المريح يتأمل البحر ويـراقب الشمس وهى تكاد تغيب فيـه. ويتذكـر. أين الأمس من اليوم. انقضت سنـون طويلـة منذ أن كان يتسـابق هو ورفـاقه، عـرايا كما ولدتهم امهـاتهم، فى الانزلاق على مجارى الطين التي يصطنعونها. إنه الان يتأمل البحـر على شاطىء "المنتزه".

المنتزه؟..

نعم المنتـزه ياابن الهماميـة، ياصبـار الطين. يـابرص الجبل الاجـرد. فى المنتزه حيث كـان يعيش فاروق الملك وأهله يـاابن الفلاحين. يالها من دورة رائعة. لم تـذق فى العشرين سنة الأولى من حياتك ماء صـافيا من الطين أو الجراثيم، وكـان أهلك يعرفـون أوصاف البحـر من حجاج القـرى الاخرى. ولكنك الان مزروع فى المنتزه منذ الصباح الباكر كأنك ورثته عن أهلك. ترى من الذى ورثك إياه...؟..

وعندما يغيب الضوء تحتضن الظلمة أحلام الغرور.

من رحلة الحمار على الطريق المترب إلى ملاهي قصر المنتزه طـريق طويل. قطعته بعقلك. بسـهرك. بجـدك. باجتهـادك. تعلمت فتفوقت فتخـرجت فأنتجت فأصبحت من رواد المنتـزه. لم يورثك أحـد شيئا. كسبت كل شىء فلافضل لأحد عليك.

ويحجب مابقى من أشعة الشمس عملاق من البشر يلبس ملابس العـوم وتدس فتاة رشيقة يدها تحت إبطه. أنه لايراهما إلا كجسمين عابرين على صفحـة أرجوانية. ولكن الشاب يراه يتوقف. يلتفت. يترك فتاته. يحبو على ركبتيه ليحتضن الجالس ويقبله قبلات حارة.

ـ من ؟.

ـ أمين.

ـ أمين من؟

ـ ألاتعرفنى ؟

عرفه الان واحتضنه. ونهض من مقعده فصافح زوجته.

أصبح كل شىء واضح بالرغم من غياب الشمس.

فهناك بعيدا عن القرية، جنـوب القاهرة، أنشئت قرية أخرى اسمها "عزبـة الصعايدة" فيها أكثر من ألف شاب من أبناء قريته يلبسون ملابس الأفنـدية. ويقرأون الصحف. ويتجادلون فى السياسة. لانهم قد أصبحوا عمالا فى مصـانع حلوان. وتحملهم سيارات المصانع دفعـات كل صيف. إلى الاسكندرية. وتنثرهم كالورد، على شواطىء قصر المنتزه. ومنهم أمين.

ياأحلام الغرور..

وكيف ورث أمين بعد خراب بيتهم موقعا فى قصر فاروق؟.

●●●

نقطة ثالثة ١٩٤٨

مقهى "الشمس" يطل على شـارع فؤاد. فيما يلى الشـارع دار القضاء المختلط. قضاء الأجـانب. يملك المقهى ويديره "يونـانيان" عتيقان. ليس هذا غريبا. لايملك المصريـون شيئا فى شارع فؤاد من أول دار القضـاء المختلط إلى دار الاوبـرا، ولايتحـدث أحد غير الخدم والعـاطلين من الشيـوخ، اللغـة العـربيـة فى شارع فـؤاد. شـارع فـؤاد مقسم فيما بين شمـلا ، وشيكـوريل، وأوركو، وبنـزايـون، وصيدناوى، ومزراحى، وعـدس... بنايات ومتاجر. ولاتزال الأنوف المعقـوبة تطل منذ شـهر من وراء النوافذ الزجاجية على مظاهرات صاخبة فى شارع فؤاد. مظاهرات تقول تسقط الصهيونية. ويعلقون عليها بلغة لايفهمها المتظاهرون. فما بال مقهى "الشمس" عامرا بالعمائم والملابس الداكنة والوجوه التى تعلمت الصبر من طول المذلـة، كأنه قطعة من أسيوط. منـذ الصباح الباكر، كل صبـاح، يرد إليه لابسو الجلاليب السوداء الفضفاضة، ورقابهم العـارية الهزيلة يخبون فى مشيتهم خشية السيارات

كأنهم سرب خائف من النعام الأسود. وهناك يجتمعون، وهناك ينتظرون، صاحب المقهى يعرف من الذى ينتظرون فينظرهم إلى حين. فلا يشربون شيئا ولايدفعون.

عندما ينتصف النهار ينهضون فجأة. فتصفق أطراف جلابيبهم ويتزاحمون على يد القادم يصافحونها ويقبلونها. حتى إذا ماجلس "البك" تحلقواحوله. يبث كل منهم شكواه.

كان ذلك فى حزيران.

كان الأفندى من بين المنتظرين. صحب "فتحي" وأباه. أبوه طاغية وفتحى صديق مرحلة الدراسة الثانوية. فذهبوا جميعا إلى حيث ينتظر الجميع "البك".. سيد بلادهم وابن سيدها.

- ألم أقل لك يافتحى دعك من الوظيفة.

- أسكت حتى لايسمعك الرجل. ألاترى أنه يجرنى جرا كالعجل الصغير. لقد ربانى كمايربى أبقاره. ولايعرف إلا أنه قد جاء وقت الحليب. وعلى أن أدر عليه وفاء.

- فتحى.. لماذا ترضخ؟

- أنت تتعابط. إنه طاغية. إنه مخيف. قد يقتلنى.

- أنت الآن تبالغ.

- أبالغ. إنه أبى. كيف اذن أستولى على نصف أرض القرية وهو لايملك منها إلا القليل. كيف يقتسم المحاصيل جزية على الفلاحين. كيف بعث إلى السجن بعشرات من الشباب جزاء جرائم ملفقة هو فاعلها وشاهدها وهم ضحاياها. كيف يلحق الصبايا بخدمته فى بيتنا عنوة ويهجر إليهن فراش زوجاته الأربع. أسكت. لم يقتل أحد فى بلدنا إلاكان هو قاتله. وفى الدوار يجمع كل مساء عتاة المجرمين. دوار العمدة.

- أولى بك إذن أن تهرب.

- ياأخى، لقد ظل عشرين عاما يبيع أصوات الناخبين فى القرية صفقة واحدة لهذا "البك" بدون أن يقبض الثمن. الثمن وعد بأن أصبح موظفا بادارة المركز.مركزنا. وهاهو يقودنى إلى هنا يقبض ثمن مباعه من بشر طوال عشرين عاما. فهل ترانى أفسد الصفقة. يقتلنى والله يقتلنى.إنه أبى وأعرفه وله غيرى ثمانية ذكور.

وجاء دور الطاغية.

خدامك وابن خدامك فتحى ابنى أخد الشهادة. كلنا خدامينك. وقد شخت وأصبحت قدمى على حافة القبر. أريد أن أمتع عينى بأن أراه موظفا فى المركز. قبل أن أموت. والله والله والله، وأنت تعرف، أنا ما أتمنى الصحة إلا من أجل خدمتك. ولد يافتحى. سلم على سيدك وقبل يده.

- لا. لا. لاسامح الله.

- لا والله. على الطلاق ليسلمن عليك ويقبل يدك. هذه بركة. أنتم الأسياد. خلقكم الله لتنفعوا عباده.. جلت حكمة الله.

عندما انحنى "الاستاذ" فتحى يقبل يد "البك" تساقطت من جبهته نقط من العرق. قبل ثم جلس ثم صمت.

وأخرج الافندى من جيبه سيجارة وأشعلها. فاتجهت إليه عيون صغيرة لامعة. واهتز أكثر من شارب. وسرت همهمة. وتخلى الطاغية الذليل عن مكانه لتنعقد صفقة أخرى. بشر باعوا أنفسهم سنين طويلة وجاءوا يقبضون الثمن. وبشر جاءوا يبيعون أنفسهم بثمن أجل.

ونهض البك وانصرف فصفقت أطراف الجلابيب السوداء وهى تغادر مقهى "الشمس".

●●●

بعد شهرين
فى آب ١٩٤٨

ذهب الافندى الى قريته. كعادته. قابله أبوه بترحاب كبير . واحتضنه حتى دمعت عيناه . أبوه قدوة لأسرته . اما الباقون، أما أهل القرية، أما أهل القرى المجاوره فقد كانوا لا يزالون يتجادلون فى أمره . لم يستقر بهم الامر على وجه واحد . فلم يرحب به احد الى أن يستقر الامر .

قال فريق: لقد فسدت أخلاقه فى المدينة فلم يعد يعرف ما الادب.

وقال فريق: ان التعليم هو المفسد ، لانه يصيب صاحبه بجهل الحدود .

وأفتى امام المسجد بأنه كفر اذ خالف قوله تعالى : «أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم» والادب جزء من الطاعة . واولى الامر منا لا يجهلهم إلاكافر.

وقال العاطفون: لكل عالم هفوة. يغفر له هفوته شبابه.

قال: ما شأن الناس يا أبى؟

قال أبوه : انهم يخوضون فى هذا الحديث منذ شهرين. ولقد كاد الامر أن يؤدى الى مخاطر الاقتتال. فقد انبرى بعض أبناء عمومتك يدفعون عنك الالسنة. ولكنك لم تفعل شيئا غير لائق بك.

قال: ولكن ما الامر ؟

قال: أبوه : لقد اتصل بعلمهم، ثم شاع، انك قد أشعلت سيجارة أمام "البك" فى مقهى الشمس. فمنهم من حسبها هفوة. ومنهم من حسبها كفرا. ومنهم من حسبها جهلا. ومنهم من حسبها تجاوزا لحدود أقامها الله بين الناس ورفع بها طبقات فوق طبقات. وفى هذا يختلفون حتى اليوم. انها ـ يابنى ـ نواميس العبود ية الموروثة . ألم تر الى الواحد منهم يقتل أخاه رداً للاهانة بالكلمة. ثم يفخر بعدد ما تلقى على قفاه من صفعات الشرطى. انهم لايزالون يقارنون بينك وبين الاستاذ فتحى ويحسدون والده إذ احسن تربيته فعرف الحد الفاصل بينه وبين سيده حين قبل يده.

كل الأجنة فى بطون الامهات خرجت الى الدنيا ذكورا وإناثا . منذ عام ١٩٤٨ . وضعت الامهات ملايين الذكور والاناث. فى كل شهر تبنى مدرسة. فى كل قرية تبنى مدرسة . والجامعات تنتقل الى حيث أولاد الفلاحين . يحتضن العلم الاطفال ذكورا وإناثا . يرعاهم بدون مقابل تكتظ الجامعات بأولاد الفلاحين بدون مقابل ، وينتظر العمل الطالب على باب خروجه .لا يتشرد أولاد الفلاحين . لا يقبل أولاد الفلاحين أيدى السادة من أجل ما يستحقون . انهم مشغولون بملء نصف مقاعد كل الهيئات الشعبية ، مزروعون بجلابيبهم الداكنة على مقاعد مجلس الشعب .

يتفلسف أولاد الفلاحين بعد الثورة فيقولون إن بعض حروف الثورة تفتقد نقاطا . ماذا تعنى حروف الثورة غير المنقوطة ؟ ويتمردون من أجل مزيد من المساواة . تفلسفوا تفلسفوا... فالعلم غزير . وتمردوا تمردوا .. فالطريق طويل . ثم أجيبوا:

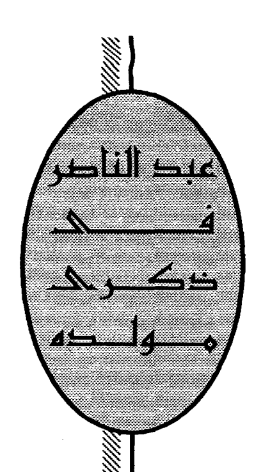
ـ من علم هذا الجيل المتمرد أن الناس سواء ؟

من علمهم أن الثورة حق ؟ ..

من علمهم حق الثورة ؟

ـ الثورة ....





الحرية والاشتراكية والوحدة قدر الأمة العربية ومصيرها

محمد عوده

ميلاد ناصر كان تحقيقا لطموحات أمة

محمود نور الدين

ستظل صورته محفورة فى قلوبنا

الشعب المصرى

الحرية والاشتراكية والوحدة
قدر الأمة العربية ومصيرها

هذا حوار شامل.. حيث طرحت خلاله «صوت العرب» على الكاتب الكبير **محمد عوده** العديد من التساؤلات، انصبت بالأساس على الزعيم الخالد جمال عبد الناصر، فى ذكرى ميلاده الخامس والسبعين– وثورة يوليو ودورها محلياً وعربياً ودولياً.

وقد أجاب الكاتب الكبير الأستاذ محمد عوده عن تساؤلات «صوت العرب» مفندا الكم الهائل من الافتراءات والأكاذيب التي يروجها أعداء وخصوم الثورة ضد عبدالناصر ودوره الثورة وانجازاتها فى كافة الميادين.

وإلى حوار الكاتب الكبير:

● دأبت بعض الأقلام على وصف ثورة يوليو بحركة ضباط الجيش، وأنها لم تكفن ثورة سياسية واجتماعية انحازت إلى الغالبية العظمى من أبناء الشعب .. ماتعليقكم ؟

●● لم يعتد على تاريخ بلد أو يشوه مثلما حدث لتاريخ مصر وتجريد الشعوب من تراثها وتاريخها وأبطالها هو أول مهام الاستعمار وعملائه أو من يقع فى ضلالتهم بحسن أو سوء نية من المواطنين السذج أو ذوى الأفق المحدود.

وأقرب مثل لذلك كانت الثورة العرابية التى صورت أنها كانت حركة ضباط فلاحين يريدون المساواة مع الضباط الشراكسة، ولم تكن أول ثورة ديمقراطية وطنية اجتماعية فى تاريخ الشرق، إنها أرادت تصفية الاستعمار والاستبداد والاستغلال معا، وكادت تحقق ذلك لولا الخديعة والخيانة

ويعيد التاريخ نفسه ولاتظن أن " مجرد حركة لضباط الجيش تعود بها إلى الثكنات ثم انحرفت لحب عبد الناصر للسلطة " كانت تستطيع أن تحرر مصر من الاستعمار بعد أربعة وسبعين سنة طويلة وأن تحررها من الاستغلال وتحقق التنمية والعدالة لأول مرة فى تاريخها الطويل، وأن نضعها على خريطة العالم زعيمة للأمة العربية وطليعة العالم الثالث ومؤسسة فى جبهة عدم الانحياز .

وبعض الضباط الأحرار "ليسوا مراجع تاريخية أو ذوى رؤية سياسية أوعقائدية ومنهم من انتهت مهمتهم صباح الثورة ومنهم من تخلفوا عن متابعة ما يجرى ويدور فى العالم حولهم ومنهم من غلبتهم ضغائنهم وأحقادهم الصغيرة.. وهذا ليس أمرا غريبا فى معظم الثورات!.

وتاريخ مصر الحديث بالنسبة للمؤرخين الاستعماريين يبدأ بمقامر أجنبى يبحث عن إقطاعية وهو "محمد على" ومسرف مخل عربيد أغرق بلاده فى الديون هو "اسماعيل" وضابط فلاح جاهل متعصب هو "عرابى" استفز الدول العظمى وعميل عثمانى يريد إعادة بلاده للحظيرة العثمانية هو "مصطفى كامل" وسياسى غوغائى استنفر الدهماء ليقيم ديكتاتورية الرعاع هو "سعد زغلول" وتلاه خليفته الساذج المتخلف "مصطفى النحاس" وأخيرا الضابط المتهور المتعطش للسلطة والذى أورد بلاده مورد الهلاك وهو "جمال عبد الناصر"!!.

ولفرط الأسى والحسرة يردد ذلك بعض الأساتذة والمؤرخين المصريين الحاصلين على درجات من جامعات أجنبية يتباهون بها ولايستغرب أن يقلدهم بعض الضباط الأحرار غير المقصودين ... بالطبع.

● تحولت إنجازات الثورة (السد العالى – التأميم –الإصلاح الزراعى) على أيدى أعداء الثورة إلى سلبيات ..

●●السد العالى هو أعظم إنجاز فى حياة مصر ومصر تعيش على مياه النيل وبقدر ماتوفر وتتحكم

في مياه النهر، وكانت هذه هى المشكلة الرئيسية "وقضية الحياة والموت" طوال تاريخ مصر كله.
ومنها كانت تتفرع كل المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالطبع.
وقد انتهت المشكلة وحلت الحل الأفضل بعد السد العالى وأصبح لدى مصر ولدى كل فلاح ومزارع مايكفيه ويفيض لديه من الماء.
وكانت مصر تفتقد إلى أهم ماتعتمد عليه الدول الحديثة وهى "الطاقة" التى تقوم عليها الصناعة، والتى تستمد من الفحم والبترول والكهرباء ... ولم يوفر السد العالى الماء للزراعة فحسب ولكن وفر الطاقة للصناعة، واستطاعت مصر أن تحقق أكبر برنامج تصنيع فى تاريخها وأن تقيم مؤسسات عملاقة وركائز لمصر الصناعية مثل "كيما".. مدينة "الألمونيوم" "الحديد والصلب" "الفوسفات" محطات الكهرباء"...إلخ.
وربما كان أهم ما حققه السد العالى كما صرح كبير المهندسين السوفييت هو أنه كون نخبة من الفنيين والخبراء المصريين على أعلى مستوى، وبحيث لم تعد مصر فى حاجة إلى خبراء أجانب إلا فى قلة محدودة من الخبرات.
ويفخر رجال السد العالى بأن صاحب استراتيجية إزالة السد الترابى في معركة القناة وخط بارليف سنة١٩٧٣ كان مهندسا شابا من السد العالى.

الحرب فى اليمن

فى سبتمبر عام ١٩٦١، حدث الانفصال السورى بمؤامرة أمريكية - سعودية.
وأعلن الملك سعود أن هذه مجرد مرحلة وأن المعركة التالية سوف تكون فى القاهرة وبدأت معركة استفزاز واستنزاف تمهيدا للضربة القاضية.
وفى سبتمبر سنة١٩٦٢ تفجرت الثورة فى اليمن وكان اليمن يعيش فى حالة ثورة مستمرة منذ ١٩٤٨ ضد نظام "الإمامة" وهو نظام من القرون الوسطى استمر ألف عام وحصد عشرات الألوف من أرواح الثوار والوطنيين اليمنيين وقام بالثورة الضباط والمثقفون اليمنيون الذين تعلم معظمهم فى مصر. وتشربوا مبادىء ثورة يوليو واعتنقوا زعامة عبد الناصر.
وبمجرد نجاح الثورة وطرد الإمام تطلع الثوار إلى مصر ، وقد فشلت كل الثورات السابقة لسبب واحد هو مسارعة السعودية لإنقاذ الإمام حتى وإن كانت على أشد العداء معه.
ولم تكن مصر لتستطيع أن تتردد فى مساعدتهم وذلك بحكم مبادئها والتزاماتها القومية، ومساندة لشعب استعبد ألف عام. ثم بحكم مصالحها، فقد انتقلت المعركة إلى حدود السعودية وليس إلى القاهرة.
وتقوم الان جمهورية اليمن الديمقراطية صامدة وسط محيط من الدويلات والدول القبلية والعشائرية والتابعة. وقد حققت وحدتها وأصدرت دستورها وتستعد لأول انتخابات تعددية ديمقراطية فى شبه الجزيرة العربية.
وتربطها بمصر أعمق الصلات وأوثقها صلات الدم والكفاح المشترك من أجل الحرية والتأميم.
التأميم هو استرداد الشعب لحقوقه فى ثروة بلاده والاستعمار ليس سيطرة سياسية فحسب، ولكنه استيلاء على الثروة واستغلال مكثف للشعب.
وكانت ثورة مصر التجارية والمالية والصناعية مملوكة فى أغلبيتها الساحقة للأجانب ولقلة ضئيلة من المصريين متعاونين معهم.
ولم يكن ممكنا تأمين الاستقلال أوتحقيق التنمية أو إقامة العدالة، وإعادة توزيع الثروة بغير أن

يسترد الشعب وحكومته الوطنية المواقع الرئيسية للثروة.

وبغير التأميم وتحرير الثروة لم يكن ممكننا تحقيق خطة التنمية الأولى وهى باعتراف الجميع أهم خطة تنمية فى تاريخ مصر الحديث وباعتراف الأمم المتحدة أنجح خطة فى العالم الثالث .

ولم يمنع التأميم قيام قطاع خاص واسع يتكامل ويتنافس مع القطاع العام تحت ولايته ، بل ولم يزدهر القطاع الخاص فى أى عصر مثلما ازدهر فى ظل الاقتصاد الوطنى الاشتراكى المختلط القائم على قدمين.

الاصلاح الزراعى

كان "ونستون تشرشل" رئيس وزراء بريطانيا وزعيم الاستعماريين المتعصبين، وفى أول لقاء له مع الملك "فاروق" لم يتمالك أن لفت نظره إلى الفروق الشاسعة بين الثراء الفاحش والفقر المدقع فى مصر وبين حياة الباشوات وحياة الفلاحين وإن ذلك خطر على المستقبل.

وبالطبع لم يذكر "تشرشل" مسئوليته عن ذلك وأن الاحتلال هو الذى أعاد توزيع الأرض وركزها فى قلة من الاقطاعيين الموالين لكى يزرعوا القطن بل ويحولوا مصر إلى مزرعة لمحصول واحد رئيسى هو القطن يوردونه لمصانع النسيج فى "لانكشاير" .

ولم يعنيهم فى شىء أن تمتلك ستمائة أسرة ٦ر٠ من الأرض الزراعية وأن يمتلك مليون فلاح ٤ر٠ من الأرض وأن يعيش مليونان أُخران معدومين لايملكون شيئاً.

ولم يكترثوا لأن تكون نسبة الأمية ٩٠٪ ونسبة المرض ..خمسة أمراض متوطنة لكل فلاح وأن يكون مستوى المعيشة هو أدنى مستوى فى العالم ...بعد الهند .

ولهذا كان الإصلاح الزراعى أول الضرورات ليصحح الكيان الاجتماعى والاقتصادى لمصر، وقد تعالت الدعوة إليه قبل الثورة . ولكن وجود الملك والاحتلال والباشوات والخواجات كان يحول دون تطبيقه . وكان لابد من ثورة لكى يتحقق وقد حدثت.

● إنحاز عبد الناصر إلى الفقراء وخدمة أبناء الشعب فى كل شىء..وهو مانعكس فى التعليم والإعلام والثقافة ..إلى أى مدى نجحت هذه الاستراتيجية؟

●●خلقت النواة الصلبة التى صمدت وقاومت وتحدت كل سياسات واستراتيجيات الثورة المضادة.

وخلقت هذا الحشد من الطلائع والقواعد والقيادات من الفئات والأجيال والذى تدافع وتهافت على الانضمام إلى الحزب الناصرى الجديد ورأى فيه الطريق إلى الخلاص.

وقد انقلبت قوى الردة والثورة المضادة وهى لاتريد بناء الانسان المصرى القوى ولكن الكائن الاستهلاكى غير المنتمى، ولكنها مهما حاولت واستماتت إلا أنها تتحايل ولاتجرؤ على إلغاء مجانية التعليم، وتتعثر في استبدال التعليم الوطنى بتعليم طبقى وليس لأجهزتها الثقافية والإعلامية أى مصداقية وليس لصحفها وإذاعتها ومطبوعاتها أى أثر إيجابى على عقول ووجدان الناس ، وينطبق نفس الشىء على الدوائر الأفريقية والإسلامية وغير المنحازة.

وقد تعثرت كل السياسات البديلة وفشلت، ومهما تنبأ البعض واشتط في تنبؤاته بنهاية القومية العربية بل ونفى وجود أمة عربية إلا أن الحقائق تظل قائمة وصلبة وتكذبه، ومهما كان الجزر الذى تعانيه الأمة العربية إلا أن الشرارة مازالت متعددة ولن تنطفىء.

● استطاعت القوى الرجعية الانقضاض على مجمل سياسات عبد الناصر تجاه الأمة

العربية والإسلامية وحركة عدم الانحياز مـاهى السياسات البديلة التى طرحت بعد رحيله .. وهل أثبتت النجاح ؟!

●● كانت حرب ١٩٦٧ إحـدى "درامات" التاريخ الكبرى والتى اختلط فيهـا المجد والمأساة كما لم يحدث من قبل .

وقال أحد أكبر المعلقين والمؤرخين فى هذا العصر إنه "الحدث الأول من نوعه في التاريخ، ولأول مرة يتدخل شعب بأكمله ليصنع التاريخ بنفسه ويعيد إلى السلطة زعيما مهزوما" .

وقد صـدق وعى الشعب وإلهامه، ووقعت الهزيمة وتمت ساحقـة ماحقة وفى ٨يونيـو تنحى عبد الناصر وخرج الشعب وأعاده واستؤنفت المعركة مباشرة من ذلك اليوم .

وأعد عبـد الناصر جيشـا جديـدا مثقفا من خـريجى الجامعات والمعـاهد العليا ومـن أبناء العمال والفلاحين تشبع بأهداف الحرب وأتقن استعمال الأسلحة الحديثـة وكسب حرب الاستنزاف ثم حقق الانجـاز التاريخي العظيم فى أكتـوبـر١٩٧٣، وقد وصـف أحـد جنـرالات إسرائيل المشهورين حـرب الاستنزاف بأنها أول حرب خسرتها إسرائيل فى الميدان، وانتهت بـاختراق السيادة الجوية الإسرائيلية والتى كانت تتباهى بها، وتعدها أول أركان تفوقها.

ولم يتوقف عبـد الناصر عند قناعاتـه قبل حرب ١٩٦٧ أو بعدها، ولعلـه ازداد ايمانا بها ولم يكن ليستطيع إعادة بناء الجيش وإعداده وقيادته بغير إيمان عظيم يملك عليه كل حياته.

وعلى أى حال فإن عبـد الناصر لم يخترع القـومية أو الدائرة الأفـريقية أو الإسـلامية، ولم يخترع العالم الثالث وعـدم الانحياز، ولكنه أدرك كما لم يدرك أحد قبله سـوى "محمد على" مكان مصر على خريطة العالم ودورها.

والقوميـة العربيـة مستمدة من حقيقـة ثابتة راسخـة، وذات أسس وجذور سيـاسية اقتصـادية استراتيجية حضارية.

ولا توجـد على خريطة العالم إحـدى وعشرون دولة متلاصقـة متكاملة تحوى كل أسباب الـرخاء والقوة، وتملك كل مقومات الوحدة مثل دول الأمة العربية، ولا تفتقد سوى الإرادة السياسية والثورية القادرة على تحقيقها ، ووجـدتها لدى بطل تاريخى هو "جمال عبد النـاصر" وقد شق الطريق وقطع شوطـا كبيرا ثم تكالبت كل قوى الثـورة المضادة والردة ولكن سـوف يأتى من يستأنف "المشوار" ويكمله لاشك.

إن الحرية والاشتراكيـة والوحـدة قدر الأمـة العربيـة ومصيرها الـذى لامصير سواه ومهما طـال الطريق أو حفرت الأخاديد وزرعت الألغام.

وسوف تكون مهمة الجيل القادم من النـاصريين أشق من مهمتنا، وسوف يظل إجهاض المشروع القومى وتصفيته هدفا أوليا للإمبريالية الجديدة كما كان هدفا لسلفها .

وقـد أقـامت الـولايـات المتحـدة دولـة الصهيـونيـة لهدفين أسـاسيين ومتـوازنين هما ضـد الخطرالسـوفيتى وتصفية المشروع العـربى، وقد انهار الخطـر الأول من داخله ولكن مـازالت جذوة الخطر الاخر قائمة وتتفرع "إسرائيل" الان لمواجهتها ومحاولة إطفائها.

وسوف يتم ذلك من الداخل حينما تلتحم "إسرائيل" بالمنطقـة و"تهيمن" على اقتصادها وتسود بتفوقهـا التكنولـوجى والاستراتيجى وتصبح فى اطار التطبيع و"السـلام الأمريكى" سيـدة المنطقة وذلك كما ترسم "المستقبليات" الإسرائيلية للقرن القادم .

والوهم والأسطورة خصائص تعيش بها إسرائيل والحركة الصهيونية.

وباستقراء تاريخنا طوال القرنين الماضي والحاضر نستطيع أن نثق أن الثورة العربية سوف تكون أحد أحـداث القرن القـادم العظمى ، وسوف تستأنف مـابدأه عبد النـاصر ومن حيث انتهى ...ولهذا حديث اخر.

● طرح عبد الناصر مشروعه القومى المتكامل فى مواجهة التخلف والتجزئة ..فماذا جنت مصر من وراء هذا المشروع ..وماذا جنته بعد التخلى عنه ؟

●●المشروع القومي العربى مشروع قديم طرح منذ بداية القرن الماضى، وكان رائده الأول "إبراهيم باشا" قائد الجيوش العربية أو "سرعسكر عربستان" كما كان يوقع أوامره وقد كون جيشا من الفلاحين المصريين وقام بأكبر زحف عسكرى فى القرن الماضى من القاهرة حتى أبواب القسطنطينية، لم يخسر خلاله معركة واحدة وكان حلمه الكبير ومشروعه القومي هو إقامة دولة عربية عصرية تحل محل الامبراطورية العثمانية المريضة والتى كانت الدول الاستعمارية العظمى تتكالب على اقتسامها .

وحينما اجتاز الحدود التركية وتوغل في قلب الدولة العلية توافد عليه المصلحون والثوار الأتراك، وألحوا عليه في تعديل المشروع ليصبح إقامة دولة عربية تركية عصرية تعيد بناء الشرق.

وتزعمت بريطانيا بقيادة رئيس وزرائها "بالمرستون" حلفا أوروبيا شاملا انضمت إليه دول أوروبا قاطبة بما فيها فرنسا حليفة "محمد على" وكانت المرة الأولى والأخيرة التى انعقد فيها مثل هذا الحلف.

واعتبر المشروع القومى العربى يومئذ أكبر خطر يهدد المصالح الأوروبية.

وقد ظل هذا المشروع نائما أومتعثرا حتى بعثه "عبد الناصر" وحدد له أهدافه وسياساته واستراتيجياته بما يتفق وحقائق وموازين العصر .

وفى هذه المرة تصدت له الإمبريالية الأمريكية واعتبرت المشروع القومي العربى في نفس خطورة العدو السوفيتى بل واعتبرت "عبد الناصر" العدو رقم واحد ولم تهدأ قبل أن تهزمه .. وفى هذه المرة كانت الضربة القاضية من الداخل وليست من الخارج وعلى يد "السادات" .

وقد كان المشروع الناصرى القومي يعنى تحرير الوطن العربى وتصفية الاستعمار القديم والجديد وبكل أشكاله وكان يعني تحرير المجتمع العربى بالقضاء على التخلف واللحاق بحضارة العصر وفى اطار العدالة الاجتماعية الاشتراكية وكان تحرير الأرض وتحرير المجتمع يعنى إزالة كل العوائق والفوارق المفتعلة وقيام وحدة عربية وقوى عربية كبرى تواجه العالم من مركز قوة متكافىء .

ولهذا كان يعنى كل شىء بالنسبة لكل العرب وليس لمصر فقط.

ولم تجن بعد التخلى عن المشروع القومى سوى الخسران المبين وأصبح تعريفها في القاموس السياسى الغربى "الحليف الثانى للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط .. بعد "إسرائيل"!!.

وترجمة الحقيقة هى "دولة تابعة تدور فى الفلك الأمريكى فى المرتبة الثانية بعد إسرائيل" !!وهو مالايمكن أن يفخر به أى مصرى.

● ترى بعض الفصائل الناصرية أنه من الضرورى الموافقة على بيع القطاع العام استناداً إلى عدة أسباب ..ماهو الموقف الصائب فى رأيكم ؟!

●●مهما تكن سلبيات القطاع العام إلاأنها لاتقارن بحال بآثام القطاع الخاص والسلبية الأولى والأساسية للقطاع العام هى البيروقراطية وأن تتحول مؤسساته إلى مصالح حكومية يسودها الروتين ويتفشى فيها الفساد، وهذا عيب سطحى وعارض وقابل للعلاج، وذلك بالتوعية السياسية والإدارة الديمقراطية ومنح كل مؤسسة استقلالا ذاتيا بحيث يتحمل كل العاملين مسئولية نجاحها أو فشلها ويتقاسمون نتائجه وقد طبقت هذه المناهج بنجاح كبير.

أما القطاع الخاص فإن سلبياته أكثر من أن تحصى ومحورها الاستغلال، واستنزاف جهد العمال

وإنكار إنسانيتهم واعتبارهم سلعة مجرد أداة للربح والذى يستأثر به الرأسماليون .. ولاعلاج لذلك سوى تغيير النظام واستبداله ولاتجدى الإصلاحات الجزئية. والاحتفاظ بالقطاع العام فى مصر حتمية اقتصادية سياسية عقائدية لأنه أول دلالات الصمود ورموزه، وأول واجبات الناصريين هو الدعوة إلى إصلاحه واستنفار العمال والفنيين والمديرين للإبقاء عليه .. لأن السياسات التى تسير عليها الحكومة فى إطار تعليمات ومراسيم صندوق النقد تسوق إلى "الكارثة" تحت شعار "الخصخصة" وتحرير الاقتصاد وقوانين السوق، والناصريون الذين يوافقون على بيع القطاع العام لهذه الأسباب ينطبق عليهم المثل القائل " يداوى الصداع بقطع الرأس. "

وعلى أى حال فإن القطاع العام أصبح جزءاً لايتجزء وركنا من أركان الاقتصاد فى النظامين الرأسمالى والاشتراكى على السواء وأصبح الاقتصاد المختلط هو السائد وقد فشلت "الأصولية الرأسمالية" التى حملت لواءها "تاتشر" فى بريطانيا و"ريجان" فى الولايات المتحدة، وأدت فى النهاية إلى أكبر أزمة كساد وركود فى تاريخ "بريطانيا" خلال هذا القرن وكان انتخاب "كلينتون" فيما يشبه الانتفاضة السياسية سقوطا "للريجانية" ورد اعتبار للقطاع العام وتدخل الحكومة.

وحينما صدرت القوانين الإشتراكية كان السفير الأمريكى هو "المستر جون بادو" وقد اختاره الرئيس كنيدى لكى يفتح صفحة جديدة فى العلاقات مع مصر والعرب والعالم الثالث عامة، وقد أمضى جون بادو معظم حياته فى مصر وكان عميدا للجامعة الأمريكية وتخرج لديه كثيرون من القادة كان من بينهم المرحوم "على صبرى".

وحينما ثارت الضجة العالمية حول "التأميم" كلف المستر "بادو" مجموعة عمل من السفارة أن تقوم بدراسة مقارنة بين التأميمات" المصرية والقطاع العام فى "أمريكا" و"بريطانيا" و"الهند" و"إسرائيل" واتضح منها أن الفارق كبير فى كل الحالات وأن النسبة فى مصرتقل كثيرا جدا عنها فى أى من كل هذه البلاد وأرسل كنيدى أستاذاً فى الاقتصاد وأحد مستشاريه لدراسة القوانين، وحينما رجع كتب تقريراً قال فيه : لم يكن أمام عبد الناصر طريق اخر وهو الطريق الصحيح "

وكان القطاع العام هو حجر الأساس فى ثورة التنمية التى حققتها الخطةالخمسية الأولى، وفى تحقيق الحلم المصرى بتصنيع مصر وتسليحها وإقامة أكبر قاعدة فى المنطقة للصناعة الثقيلة والاستهلاكية والاستراتيجية.

وكان القطاع العام المصرى هو الذى حمى السلام الاجتماعى والاستقرار بعد النكسة، وكانت التقديرات أن الشعب سوف ينتفض ويثور ضد عبد الناصر بعد الهزيمة بعد الهزيمة حينما يواجه النكسة الاقتصادية المترتبة عليها.

وكان القطاع العام هو حجر الأساس فى إعادة بناء القوات المسلحة والتجهيزات لحرب الاستنزاف ثم لحرب أكتوبر. واعترف قادة الحربين أنه لولا القطاع العام لما أمكن كسب أى منهما.

وكان القطاع العام والسد العالى هما اللذان أنقذا مصر من عشر سنوات من المجاعة والدمار فتكت بأفريقيا من أثيوبيا إلى موريتانيا ....

والقطاع العام هو الذى منح ملايين العمال الطمأنينة واحترام النفس، وبدد الخوف والقلق الدائم حول الغد والذى كان لعنة دائمة تجثم على حياتهم.

ونحن نشهد كل يوم اثار "الخصخصة" وسياسات "الإصلاح" المزعوم وكيف تزيد الأغنياء غنى فاحشا وتزيد الفقراء فقرا مدقعا... وكيف خلقت أوسع الفروق الطبقية فى تاريخ المجتمع المصرى عامة، ارتد المجتمع إلى عصر النصف فى المائة من المليونيرات بل والبليونيرات لأول مرة، ثم ٥ر٩٩٪ من شبه المعدمين والمعدمين، والذين لايجد بعضهم مايعبر به عن مأساته سوى الانفجارات

"الإرهابية" العمياء ضد سلطة منفصمة تماما عن الأغلبية الساحقة من جماهير شعبها ، وتنذر نفسها لخدمة جمعية تسمى جمعية رجال الأعمال تنتج الشوكولاته والسيراميك والسجاد والشرقى وورق النظافة!!.

كان نهرو يسمى القطاع العام معابد الهند الحديثة .. وفصائل الناصريين الذين يوافقون على بيع القطاع العام يريدون هدم "المعبد" لأن البعض "دنسوه" بدلامن أن يردوا له اعتباره وحرماته!.

★ ★ ★ ★

ميلاد ناصر كان تحقيقا لطموحات أمة

فى ذكرى ميلاد عبد الناصر أبطال ثورة مصر يتحدثون
نور الدين : ميلاد ناصر كان تحقيقاً لطموحات أمة
الشيخ حامد : ما غاب عنا لحظة واحدة

كثيرون أولئك الذين جعلوا من الناصرية رؤية ونظرية للمستقبل غير قليلين أولئك الذين قدموا حياتهم.. وانتظروا حبل المشنقة إيماناً بهذه الرؤية.

وثورة مصر «الناصرية» من هذا الفريق الأخير الذى أخذ على عاتقه المواجهة المسلحة للمخابرات الصهيونية «الموساد» والأمريكية فى شوارع القاهرة.

«صوت العرب» التقت بعضاً منهم فى ذكرى ميلاد عبدالناصر.. فماذا قالوا:

وفى رسالة لـ « صوت العرب» عبر واحد من الأساتذة المحامين قال محمود نور الدين من خلف القضبان البطل الأول في ثورة مصر الناصرية.. إن ذكرى ميلاد الزعيم الخالد «جمال عبد الناصر» ليست مجرد ذكرى سياسية، تقليدية بل هى ميلاد بطل، وذكرى بطولة، وميلاد لنهضة فى تاريخنا الوطنى والقومى، وميلاد ثورة.. وثورات وميلاد فكر تحررى ثورى.. وميلاد المواجهة الحقيقة للمستعمر الغربى.. والاحتلال الصهيونى للأرض العربية المحتلة.

ويضيف البطل نور الدين قبل عام ١٩٥٢ لم يفرز الشعب المصرى زعيماً.. مثل جمال عبدالناصر الذى غير وجه تاريخ مصر الحديث فكان ميلاد القائد المعلم تحقيقا لطموحات شعب وشعوب بأكملها تأثرت بالزعيم الخالد وثورته الخالدة وحيا نور الدين فى رسالته لـ «صوت العرب» أسرة الزعيم فى ذكرى ميلاده، وأبرق محيياً الشعب المصرى والعربى الذى وقف إلى جوار حلمه الأكبر وإلى كل حملة فكر جمال عبد الناصر فى كل مكان.

منذ رحل الزعيم جمال عبدالناصر ومنذ اللحظة الأولى لفراقه وأنا تلميذ بالابتدائية وحتى الان مؤمن أن عبد الناصر الفكر والطريق لم يرحل هذه كلمات البطل «رقم ١١» أسامة خليل أحد رجال ثورة مصر خارج السجون والذى يضيف بأن شمس عبد الناصر حتماً سوف تعود لتسطع مرة أخرى.

فعبد الناصر عندي هو الحياة، وهو معنى العزة ورمز للكرامة فيه عرفنا كيف نصمد ونواجه العدو، وعلمنا ألا نتنازل أو نتخاذل علمنا رفض التطبيع مع الصهاينة فى شوارع وميادين القاهرة

ونحن الان نرفع الهامات اعتزازاً بالناصرية. ناصرية هذا البطل الأسطورى.

وعبد الناصر الإنسان والبطل والزعيم كائن فى أعماق شعبنا رغم كل محاولات المنتفعين من الثورة المضادة ومن الانقلاب الذى نشهده على عبدالناصر، وفى النهاية يجب أن تدفعنا ذكرى ميلاد «جمال عبدالناصر» نحو المزيد من الإصدار على فكره وطريقه نحو المستقبل الذي ينتظره شعبنا فى كل مكان.

ويؤكد أسامة خليل أن فكر عبدالناصر قادر أن يقود الثورة ضد التبعية والاستغلال والانتهازية، وضد التطبيع والمتصهينين من رجال الحكم انصار كامب ديفيد، وفى ذكرى ميلاد الزعيم الخالد تزيد ثقتنا وامالنا فى عمق الناصرية وصلاحيتها للتطبيق.

أما البطل «إسماعيل الجيزاوى» أحد رجال ثورة مصر فيقول. أنا ابن حى شعبى هو حى عابدين، ورأيت جمال عبدالناصر فى بيتى وفى ابنائى، كما أراه فى كل مصنع، ومدرسة، وأراه فى قلوب الملايين زعيماً خالداً لاتمحوه مكائد الهجمات المغرضة عليه والتى تفشل دائماً أمام دور عبد الناصر فى تاريخنا الوطنى الكبير، ويضيف إسماعيل إن روح جمال عبدالناصر تجرى فى عروقنا وتزيدنا إصراراً على مواجهة دعاة التطبيع ممن خدعوا أنفسهم وضمائرهم بالباطل وذهبوا فى طريق التطبيع «المهين» مع الكيان الصهيونى.

فعبد الناصر هو قائد ثورة ٢٣ يوليو التى أزالت الكابوس الانجليزى عن صدور المصريين وهرب المستعمر أمام ثورية وبطولة عبدالناصر فى كل مكان، وحقق جمال للملايين أحلامهم فى الحياة الكريمة سواء كان عاملاً أم فلاحاً أم موظفاً أم كان طالباً، واليوم وبعد مرور أكثر من عشرين عاماً على رحيل الزعيم مازالت صورته فى القلوب ونأمل أن تسود الناصرية من جديد والتى ينتظرها الشعب طريقاً للخلاص.

قال تعالى "ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لاتشعرون" بهذه الاية الكريمة بدأ البطل حامد إبراهيم ـ الشهير فى قضية ثورة مصر "بالشيخ حامد – حديثه معنا فى ذكرى ميلاد الزعيم الخالد «جمال عبدالناصر» مؤكدا أن الله أنعم على مصر والأمة العربية والإسلامية بجمال عبدالناصر.

ويضيف أن «جمال عبدالناصر» مازالت كلماته وأهدافه تثير الرعب والخوف لدى كل الخونه والمنافقين، فما غاب عنا لحظة وما ابتعد عنا فى كل موقف عشناه ، بل ضحى «عبدالناصر» بصحته وبجهده فى أشد الأوقات معاناة وقسوة، وشهد له أعداؤه وأصدقاؤه على السواء ولكن مازالت الحرب على «عبدالناصر» والناصريين قائمة.

ويخاطبنا الشيخ حامد: إذا كنتم تريدون المزيد عن عبدالناصر عليكم أن تطرقوا باب الزنزانة رقم ٦ الخاصة بالمناضل «محمود نور الدين» لكى تكملوا معه الحديث.

ويضيف «الشيخ حامد» أن ذكرى ميلاد القائد المعلم هى ذكرى لميلاد مستقبل الناصرية، وأقول للناصريين فى هذه الفترة «اعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا» وعلى كل الناصريين أن يجتمعوا على كلمة سواء وأن يواصلوا العمل من أجل خلاص المجتمع المصرى، وأن يوفوا بالعهد، وأن يمدوا أيديهم ويفتحوا صدورهم إلى جميع شرفاء هذه الأمة.

ويختتم «الشيخ حامد» حديثه : الحمدلله على كل حال ونعوذ بالله من حال المنافقين والكذابين.. فشهداؤنا أحياء وفى أعلى عليين بأمر الله.. وأحياؤهم أموات وفى أسفل السافلين مهما صنعوا بأعلامهم وعلمائهم وعملائهم بأمر الله.

صلاح عزازى



الشارع العربى المصرى فى ذكرى ميلاده

ستظل صورته محفورة فى قلوبنا

وتظل ذاكرة الشعب أقوى كثيراً من كل زيف وسائل الإعلام مهما بلغت قوة الأخيرة .

هذه الذاكرة هى التى حفظت قيمة جمال عبد الناصر رغم آلة الإعلام الجهنمية التى سخرها الأعداء بكل ما يمتلكون من تكنولوجيا وأموال ونفط ورجعية:

ولكى نتعرف على حقيقة مافعله عبد الناصر لوطنه وأمته فيكفى أن ندخل بيوت الفقراء الذين يشكلون الغالبية لنجد أن صوره لاتزين فقط الجدران بل هى محفورة فعلاً وليس مبالغة .. فى قلوب هؤلاء البسطاء ..

هذه القيمة لم تأت من فراغ بل استمدت حقيقتها من الأفعال لا الأقوال .. هذه الأفعال التى يعيش عليها البسطاء حتى هذه اللحظة..

وفى ذكرى ميلاد عبد الناصر كانت جولة "صوت العرب" فى الشارع المصرى .. التقينا بكافة فئات المجتمع المصرى من عمال وفلاحين، موظفين، مهنيين، طلاب، ربات بيوت ..سألناهم عن عبد الناصر فى ذكراه .. فماذا كانت الإجابة ..؟!

البداية مع حمدى جمعة محمود بشركة البلاستيك الأهلية الذى يقول إن عبد الناصر من عينة الزعماء والشخصيات التى لايمكن نسيانها مهماً طال الزمن لأنه عاش ومات من أجل الفقراء وانجازاته مازالت قائمة حى الان ، وتؤكد آمنة أحمد«٦٥ سنة » ربة منزل أن أيام عبد الناصر لن تعوض مشيرة إلى أنها مازالت تقرأ له الفاتحة بعد كل صلاة، تضيف سيدة محمد ربة منزل أيضاً أنه رغم حدوث هزيمة ١٩٦٧ فإن الأسعار ظلت ثابتة فى حين أننا لم نخض حرباً من ١٩٧٣ وكل يوم نفاجأ بارتفاعات جديدة فى الأسعار والميزة الرئيسية لعبد الناصر انه أخذ من الغنى وأعطى الفقير وهو جوهر ماينادى به الإسلام وأن المصريين عاشوا فى عهده مرفوعى الرأس .. أما فتحى على محمود «على المعاش» فيؤكد أن عظمة الزعيم تتجلى فى أنه جمع كل العرب حوله وأشعر الجميع بأنه أب لهم

خاصة العمال والفلاحين الذين عادت لهم حقوقهم فى عهده .. ،بانفعال واضح يقول يوسف عبد الرازق تاجر مزادات بقصر العينى أن "عبد الناصر كان أبونا كلنا" ولذلك خرج الجميع يوم رحيله فى أضخم جنازة عرفها التاريخ مشيراً إلى أنه هتف مع الجماهير يوم تنحى عبد الناصر فى ٩ يونيو قائلاً : "قولى ياريس رايح فين وانا شيلك جوه العين" وتتحدث فاطمة أحمد شكرى با لمعهد الفنى التجارى با لمطرية - قائلة :

كيف ينسى الإبن أباه؟ خاصة إذا كان المصريون لم يعرفوا البطالة فى عهده والان فإن العاطلين يملأون الشوارع وفقد الجميع معنى «الستر» وفى عصره كان الجميع فى العالم يعرف قدر مصر خاصة العدو الصهيونى الذى يمرح الان فى المنطقة بلا رادع .. ويتدخل نشأت فايق «صيدلى» بقوله : إن عبد الناصر نجح فى تحقيق العدالة الاجتماعية وتذويب الفوارق بين الطبقات ومازالت إنجازاته قائمة رغم حملة التشويه المستمرة الذى يتعرض لها عبد الناصر. وفى نفس السياق يقول خليل أمين - صاحب محل أحذية - ان إنجازات عبد الناصر المتمثلة فى مجانية التعليم والعلاج والقطاع العام تتعرض الان لخطر التصفية الحقيقى رغبة فى انتزاع المكاسب التى حصلت عليها الغالبية فى عهده لذلك فالسؤال هو ماذا سيفعل المصريون بعد تخريب هذه الإنجازات؟

وفى عبارة موجزة يقول « إبراهيم أحمد الكرساتى» صاحب محل أكسسوار سيارات : " لدى بنت فى الثانوية العامة وهى«ناصرية» وتعشق عبد الناصر لأننى ربيتها وأنشأتها على سيرته العطرة التى لاتنقطع من المنزل "

أما مجدى سعد حسان صاحب ورشة فيؤكد قائلاً: يكفى أنه أقال أحد الوزراء حينما ارتفع سعر الأرز بمقدار قرش واحد ! مشيراً إلى أنه شعر بأنه يتيم حينما رحل عبد الناصر .. ويضيف «محمد محمود خليل» مفتش أول بوزارة الصناعة بأن مصر أشد ماتكون الان فى حاجة لزعيم مثل عبد الناصر..ويتساءل عبد الرؤوف عيسى«ترزى» أنه لايدرى ماذا كان سيفعل لو لم يكن هناك نظام المعاشات والتأمينات وكافة الحقوق الاجتماعية التى حصل عليها الشعب فى عهد عبد الناصر وأن لديه ١٢ ولداً وبنتاً تمتعوا كلهم بمنجزات الزعيم خاصة عندما أمر بتخفيض إيجار المساكن الأمر الذى أتاح للفقراء الحصول على مسكن بأرخص الأسعار ولذلك فإن الجميع ارتدى ثوب الحداد عندما رحل عن الدنيا .

وفى رؤية مشتركة يتحدث كل من «ناجى الحلوانى» بهندسة القاهرة و«ثريا عبد الفتاح» بإحدى شركات السياحة وإيناس عبدالله بتجارة عين شمس وناهد جمعة بمصلحة الضرائب بقولهم إن المصريين لا يمكن أن ينسوا توزيع أراضى الإقطاعيين على الفقراء وإنه استطاع كسب حب الجميع وإن العرب فى عهده أصبحوا يداً واحدة والان فإنهم تفرقوا بل أصبحوا يجلسون مع العدو الصهيونى الذى تصدى له عبد الناصر طوال حياته ..

وعما تراه الأجيال الجديدة وعبد الناصر الإنسان والمعنى وما تتذكره الأجيال التى عايشته كانت هذه اللقاءات الأخرى مع عينة من الشارع فى مصر ...

وحيد محمد على - محامى - يقول : إن شخصية عبد الناصر وزعامته تلح عليه كثيراً هذه الأيام

وهو يرى إنجازات يوليو يتم هدمها يـومياً والوطن وهو يسلب الاستقلال والصهاينة وهم يعيثون فى المنطقة فساداً بلا «كبير» يتصدى لهم .

أما غلاب عبد الرحمن محمد اسيوط ـ البدارى فيشير إلى أن عبد الناصر ليس شخصاً نحبه وكفى ولكنه فكـرة نرى فيها الخلاص لـذلك فهو مـوجود فى كل أسرة ومنزل وكفى أنـه رسخ مبدأ العـدالة الاجتماعية فكرة وتطبيقاً، ويتدخل إبـراهيم عبد العزيز سيد «موظف» بقولـه إن عبد الناصر يمثل لى المستقبل أكثر منه قائد عاش فى فترة تاريخية انتهت .. أما السيد عبد العال صيدلى فيقول إنه يرى عبد النـاصر فى السد العـالى الـذى حمى مصر من الجفاف ومجانيـة التعليم وقـوانين الإصلاح الـزراعى وتحريـر مصر وتحقيق استقـلالها وطـرد الأسرة الملكيـة الفاسـدة وانتصـار ٥٦ وإنصــاف العمال والفلاحين، ويشـاركه الرأى شعبـان رمضان أحمد ـ محامى ـ بقوله إن «نـاصر» الجسد رحل نعم ولكن الفكـر والتجربـة والمبادىء مـازالت مستمرة وعلينـا أن نتأمل فقط الحديد والصلب فى حلـوان والكهرباء فى أسـوان والصناعات الحربية والمدارس والمستشفيات فى القرى والنجـوع .. وعن الثقافة والفكر يقول مدحت عبد الحميد مسرحى علينا أن نعود للستينيـات لنرى ماذا قدم عبد الناصر للثقافة من فن وأدب، والنهضة الشـاملة فى المسرح والإذاعة والتليفـزيون والتأليف الأدبى بمختلف فصـوله ورغم أن «يسرا صالح» ولدت بالخليج العربى فـإنها تقول إننى تعرفت عليه من خلال أسرتى وزادت هذه المعرفة بحـديث الشخصيات والجنسيات العربية والأجنبية عنه وارتفعت هـامتى عندما كان كل هؤلاء ينظرون إلى بفخر لأننى من البلد التى أنجبت عبد النـاصر، وتعتقد «كوكب محمد حسن» طالبة أن أهم مـايميز ناصر أنـه لمس بشكل حقيقى نبض وإحسـاس الجماهير وعمل على ترجمتهـا لأفعال ويقول أحمد عباس محمد«مـدرس» أنه تعرف على عبد الناصر بشكل حقيقى فى ذكـرى مولده الـ ٧٠ حينما خرج شـاب من ريف مصر وحمل السـلاح لأول مـرة فى وجه العدو الصهيـونى وهو «سليمان خاطر» .

وعن نفس المعـانى يتحدث كل من فيصل عبـد الحميد طـالب ثانـوى وعبد العـال السيد مـوظف والسيد عبد الكريم أحد مقاتلى ٧٣ وسامية خليل عليش ربة منزل وإبراهيم محمد أحمد فلاح وسلوى حشيش طبيبة.. يقولـون ان عظمة عبد الناصر فى أنـه وضـع أسس دولة حديثة وقـوية ولكن المشكلة ظهرت فى الـردة التى حدثت بعـد وفاتـه وأنه أكد على النتـائج التى تعود على العـرب لو تـوحدوا وأن الصهاينة سيظلون هم العدو الرئيسى لنا وكل من يساندهم وإن الزعيم قد حفر لنفسه مكانة متميزة فى نفوس وقلوب المصريين خصوصاً والعرب عموماً بمنجزاته وأفعاله .

ونستمر مع البسطاء حول صورة عبد الناصر فى أذهانهم فمحمد حسن يوسف «جزار» بالجمعية الاستهلاكية بالجيزة يتحدث عن الزعيم والدمـوع فى عينيه قائلاً«بعده شفناالذل» بعد أن عرفنا معنى العزة والكرامة فى عهده.. كان كل شيء مـوجوداً وبأسعار رخيصة الان الأغنياء فقط يمكنهم الحصول على السلع ويقول عاطف على محمد مهندس زراعى إنه رغم الضغوط الأجنبية على مصر فى تلك الفترة إننا قاومنا بفضل شجـاعة عبد الناصر وقدم الشعب كل التضحيات لأنـه آمن بأن الزعيم يدافع عن كرامته ..

أما أحمد إبـراهيم ـ محصل بشركـة أتوبيس القاهـرة الكبرى ـ فيقـول إن رب الأسرة عرف معنى الاطمئنـان والاستقرار النفسى فى عصر عبـد الناصر الـذى أنشأ القطاع العـام للفقراء .. هـذا المعنى اختفى تماماً الان، ويضيف حســام إبراهيم عبد النـاصر قائلاً إنه كـان لنا كالشجـرة التى تمنع عنا لهيب الحر وبرحيله أصبحنا كالعراة..

ويقول صــالح على صالح ـ بـدار علوم القاهرة ــ ان عبد الناصر يمكن أن نـراه فى أشياء كثيرة فى المسرح المزدهر وأم كلثـوم وعبد الحليم والمشروع القومى الشـامل الذى عشناه فى الستينـات أما د . حاتم مدحت بمستشفـى الطلبة بالجيزة فيؤكـد أنه لولا عبد النـاصر ماتعلم الملايين من أبناء العمال والفلاحين وكافة الفئات .

ويؤكد كل من عنتر على ــ بالمعهد التجارى بالـروضة ـ وأميرة سالم بدار العلـوم وحنان فوزى ليسانس تربيـة بقولهم أن ناصر لايمكن نسيانـه لأن مافعله لايمكن لعين أن تخطئه فهنـاك مساعدة حـركات التحـرر فى آسيـا وإفريقيـا وعـدم الانحياز والـوقـوف فى وجه العـدو الصهيـونى ومجمع الألومنيوم وتأميم قناة السويس والاشتراكية وكهربـة الريف وهو باختصار «الأب الذى جعلنا دائماً نعيش فى أمان ..ومازلنا بانتظار عودته »

ويقول رفعت الهليل ــ مهندس ـ أنـه يكفى عبد الناصر فخراً قيـادته لثورة يـوليو / تموز ١٩٥٢ التى غيرت وجه المنطقة تماماً ولو ذهب الزعيم لمنزله واعتزل السياسة بعد الثورة لكفاه ذلك فخراً فما بالنـا بكل الإنجازات التى حققها، وبـأسٍ شديد يتحدث محمـد إبراهيم عامل بشركـة الغاز الطبيعى بمسطرد قائلاً : كنـا فى عهده نجد كل شىء والان فإن «التموين» والسلع المدعمـة ذهب أدراج الرياح ..الفقير حالياً يموت بفقره وكل شىء للأغنياء ..رحم الله عبد الناصر .

ويرى محمد الجوهرى ليسانس لغـة عربية جامعة طنطا أن إخراج حلم القوميـة العربية وبلورته واقعياً هو إنجاز عبـد الناصر الرئيسى إضافة لإنجازاته الداخليـة ويكفى أن الشاب حالياً لايستطيع الزواج إلا بمعجزة بسبب المشـاكل الاقتصادية المتفاقمة .. وفى عهـده لم نكن نسمع عما يسمى حالياً بالإرهـاب الذى تفاقم لسوء الأوضـاع اقتصادياً واجتماعيـاً ..وتضيف أحلام عبد العزيـز بكلية دار العلوم أن عظمة عبد الناصر تتجلى فى تحريره للفلاح من قـانون السخرة وتمليكه للأرض بعد أن كان عبداً فيها لدى الإقطاعيين وإنه – أى عبد الناصر ـ تحدى الغرب الاستعمارى ومعه العدو الصهيونى ولم يتحدث عن التوازنات فالكرامة لاتعرف هذه المصطلحات ..وأمم القناة وإخراج اليمن من الظلمات للعصور الحديثـة ولم تكسره هزيمـة ١٩٦٧ بل قام ببناء الجيش الـذى عبر القناة فى أكتـوبر تشرين ١٩٧٣.

وفى كلمات موحية يحكى محمود خليل إبـراهيم ـ مزارع ـ من قرية المتانيا بـالعياط – جيزة قائلاً إننى عشت قبل عبد النـاصر وفى عهده وبعد رحيلـه ..وقبله كنت شـاباً أزرع أرض الباشـوات مقابل ملاليم لاتسد احتياجات وكنا نضرب ونهان وعندمـا قام بالثورة أنصفنا على الظالمين وأعطانا الأرض وكل المستلزمات من الجمعية الزراعية وذهب أولادنا للمدارس المجانية ورأينا الكهرباء والمستشفيات المجانية والعزة والكرامة وعندما رحل والدى أصبحت يتيماً ولكن عندما رحل عبد الناصر أصبحت كل مصر يتيمة .

أما حسنين عبد اللطيف محمد بشركة مصر للألبان فيرى أن الجميع فى عهد عبد الناصر كان يعمل من أجل المصلحة العامة وبعدها مصلحة الفـرد .. كل ذلك لأننا شعرنا أننا سنبنى بلداً لنا نحن وليس لحفنة من الأثرياء ولكى نعرف الفرق بين عبد الناصر والاخرين علينا فقط أن نقارب بين حال الغالبية فى المرحلتين .. ويقول حمد عبد السميع ـ مزارع ـ من قنا .. يكفى أن عبد الناصر أعطانا الأرض مجاناً فى الإصلاح الـزراعى«وهم» الان يأخذونها منـا بحجة أنها تتعارض والشريعـة !! أى شريعة تلك التى تنصف الظالم والغني على حساب المظلوم والفقير؟!!

ومع الفلاحين البسطـاء نستمر مع « السيـد محمد أحمد» من كفر الـزيات حين يقـول إن سيرته كانت ترهب أى ظالم والمواطن البسيط كان يرسل لـه تلغرافاً يشكوى ما فيتم التحقيق فيها ويضرب على أيدى الظالمين بشدة ..لذلك كان طبيعياً أن يحبه الفقراء والمظلومون

ونستمع إلى نفس المعانى أيضاً من عبد اللطيف عبد السلام بشركـة الأهرام للمجمعات الذى يؤكد أن زمن عبد الناصر لم يعـرف هذا الانحدار المريع فى القيم الاجتماعية وتنـامى الظواهر الخطيرة من اغتصاب ومخدرات وعنف وتسـول ولامبالاة .. كل ذلك حـدث بسبب انهيار القيم الاجتماعيـة النبيلة التى غرستهـا الثورة فى نفوس المواطنين ومع الـردة التى صاحبت الانفتـاح كان طبيعياً حـدوث هذه الظواهر الجديدة تماماً على المجتمع المصرى .

وأخيراً مع عينة من الطلاب العرب فى القاهرة وماذا تمثل لهم ذكرى مولد عبد الناصر ..؟

« مراد هاشم» على (اليمن) طـالب بكلية الإعلام جامعـة القاهرة يقول إن عبـد الناصر هو محرر الأمة العـربية من الاستعمار والتبعية والتخلف والتجزئة وبـالنسبة لأى يمنى فهو الـذى خلصنا من حكم الأئمة الكهنوتى فظل اسمه محفوراً فى قلب كل يمنى ولذلك فإن أى عربى قومى بنفسه وعروبته ووحدة أمته سيجد نفسه فى النهاية مؤمناً بعبد الناصر وأفكاره ومبادئه.

وتقول « إيفا خليل» نعمه(لبنانية) وطالبة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة إننى فى ذكرى ميـلاد الزعيم عبد النـاصر أبعث بباقة ورد لكل الثوار السـائرين على طريقه .. فأى جـاحد لايستطيع نكران أن ثـورة يوليو تموز هى كانت العـامل الرئيسى فى تشكيل خريطة المنطقـة والدليل على إيمان الأمة العربيـة بزعيمها هو حينما خرجت هـذه الجماهير فى كل العواصم العربية لمسـاندته أثناء عدوان ١٩٥٦ أو حينما أراد التنحى بعد هزيمة ١٩٦٧، ويـؤكد« تامر إبراهيم» فلسطينى بكلية الآداب جامعة القاهرة أن أى فلسطينى لايستطيع نسيان عبد الناصر مهما تقادم الزمن فقد رحل عن دنيانا وهـو يحاول إنقاذ الفلسطينيين وكرس معظم وقته للتصـدى للصهاينة ومقاومتـه للتحالف الغربى ضد مصر والأمة العربية ، وتضيف رنيا نصوح فلسطينية بتجارة القاهرة قائلة : إنها ولدت فى بيت تزين حوائطه وجدرانه صور جمال عبد النـاصر التى عرفنا قيمته الحقيقية بعد رحيله ليس لمصر أو الأمة العربية فقط بل بالنسبة للشعب الفلسطينى على وجه الخصوص .

إعداد : قسم التحقيقات




عبد الناصر
في عيون
العرب
والعالم

عبد الناصر فى عيون العرب والعالم

●● حظى جمال عبد الناصر باهتمام العالم شرقاً وغرباً، وبقدر ماتطلعت إليه أنظار الشعوب المضطهدة كنموذج للزعيم الوطنى المناضل من أجل الاستقلال الوطنى ليس لبلده فقط وإنما لكل بلدان العالم الثالث، بقدر ماكان موضع تقدير شعوب البلدان المتقدمة وفى حياته وبعد رحيله كان موضع اهتمام الدوائر العلمية والسياسية والثقافية ولايزال حتى الان، وصدرت عشرات الدراسات العلمية عن تجربته التاريخية .. وحصل كثير من الباحثين على درجة الدكتوراه أو الماجستير عن دراسات تقدموا بها عن عبد الناصر وثورة يوليو .. ونحن لا نجد صورة للاحتفال بمولده أفضل من أن نقدم هذه المقتطفات من دراسات توضح لنا صورة عبد الناصر فى عيون العرب والعالم وما قدمه لشعوب العالم من مساندة سياسية واقتصادية ●●

★ ★ ★

هــــــل وزع الفقــــــر وخلف وراءه تركة مثقلة

بقلم الكاتب الكبير :

محمد حسنين هيكل

من كتاب لمصر : لا لعبد الناصر

عند الذين يهاجمون جمال عبد الناصر، بالحق والباطل، ادّعاء يوجهونه إلى أى حجّة تساق لهم، دليلاً وبرهاناً..

يقال لهم:

– لقد أعاد توزيع الثروة والدخل.

وردُهم الجاهز باستمرار:

وزّع، هذا صحيح.. ولكن ماذا وزّع؟

لقد وزّع الفقر، وذهب وخلّف وراءه تركة من الخراب كان الله فى عون من آلت إليه؟!

والسؤال الذى أريد أن أتعرض له اليوم هو بالضبط هذا السؤال:

– هل وزّع جمال عبد الناصر اشتراكية الفقر بدلاً من اشتراكية الغنى(!) وهل ترك وراءه خراباً لا يصلح إلا للبوم والغربان تنوح على أطلاله؟!

سؤال يستحق أن يجاب عليه .. وأحاول.

ولكنى قبل أن أفعل ، ألتمس العذر مقدّماً إذا استعملت كثيراً من الأرقام. والأرقام بطبيعتها جافة

رغم أن لها قدرة على البيان لا تضارعها فيها وسيلة أخرى من وسائل التعبير.

لقد بدأت تجربة التنمية فى عصر عبد الناصر بخطوة تبدو الان مرتجلة، لكنها فى الحقيقة كانت الخيار الوحيد المطروح أمامه وقتها.

كان يشعر بأهمية التنمية شعوراً غريزياً، أقصد ذلك الشعور الذى يولده الإحساس بالحاجة إلى شىء فى اتجاه معيَّن، دون أن تكون هناك دراسة كاملة لهذا الشىء، وتحديد دقيق لهذا الإتجاه.

وأحس أنه إذا انتظر حتى تكتمل الدراسة، وحتى يتم التحديد الدقيق للإتجاه، فإن وقتا ثميناً سوف يضيع.

وفى نفس الوقت ، فإنه لم يكن يثق فى الجهاز الحكومى الذى ورثته الثورة من العهد الملكى.

ومن هذا كله تحرك فى ثلاثةاتجاهات على طريق التنمية:

١- جاء با لمشروعات التى وردت فى وعود وزارات ماقبل الثورة أثناء خطب العرش، واعتبر أن هذه المشروعات درست بما فيه الكفاية، وأنشأ مجلساً أعلى للإنتاج خارج إطار الجهاز الحكومى، وضّم فيه مجموعة من أبرز خبراء مصر الإقتصاديين قبل الثورة، وممن لم تلحق بسمعتهم شوائب، وجعل على رأسهم حسين فهمى، وهو اسم من ألمع الأسماء الإقتصادية وقتها وكان قد تولى وزارة المالية من قبل ، إلى جانب إسهامه فى إنشاء كثير من المشروعات فى السنوات السابقة.

ووضعت تحت تصرف مجلس الإنتاج كل المبالغ التى أمكن توفيرها له ورصدها للتنمية، ووصلت هذه المبالغ إلى أكثر من ألف مليون دولار، وكان بين أبرز المشروعات التى نفذت بإشراف مجلس الإنتاج: مصنع حديد حلوان، ومصنع السماد فى أسوان، وكهربة خزان أسوان ، وكهربة خط حلوان .. إلىآاخره.

وفى نفس الوقت، كان جمال عبد الناصر قد أنشأ مجلساً أعلى للخدمات خارج إطار الجهاز الحكومى أيضاً، ووضع على رأسه فؤاد جلال ، وطلب أن يحوَّل إليه كل ماصودر من ثروة الملك السابق ومن أملاك الخاصة الملكية، وقد بلغت قيمتها فى ذلك الوقت سبعين مليون جنيه، وقد نفذت بها مشروعات الوحدات المجمعة للصحة والتعليم، وإعادة التدريب والإرشاد الزراعى فى الريف، إلى جانب سلسلة المستشفيات المركزية التى أنشئت فى ذلك الوقت.

٢- بعد هذه الخطوة الأولى فى مجال التنمية - وقد كانت فى مجال رد الفعل أكثر منها فى مجال الفعل - بدأ عبد الناصر يفكِّر فى الطريقة التى يمكن بها وضع خطة كاملة للتنمية الإقتصادية فى مصر.

وأقر توصية لمجلس الإنتاج فى ذلك الوقت، بأن يعهد إلى بيت خبرة أمريكى عالمى، هو بيت «ارثر دوليتل» الشهير، بإجراء مسح شامل لإمكانيات مصر الإقتصادية، وكيف يمكن التخطيط لها تخطيطاً شاملاً.

وتِّم ذلك فعلاً، وقامت مجموعة من خبراء «دوليتل» بمهمة استغرقت سنتين كاملتين.

٣- فى نفس الوقت ، فإن جمال عبد الناصر كان يدرك أهمية قيام جهاز تخطيط وطنى، ومع أنه كان يعتقد أن التخطيط أرقام، فقد كان يشعر فى نفس الوقت أن التخطيط التزام أيضاً.

كان ذلك فى سنوات ١٩٥٣ و ١٩٥٤ و ١٩٥٥ .

وجاءت حرب السويس سنة ١٩٥٦، وكانت حرب السويس فى حقيقتها حرب التنمية فى مصر، فقد كان محورها هو السد العالى، وكان تأميم قناة السويس هو ردّ جمال عبد الناصر على سحب المساهمة الأمريكية البريطانية فى السدّ العالى ، وعلى إحجام البنك الدولى إثر ذلك عن أن يقوم بتمويل المشروع.

وكان السدّ العالى هو التجسيد العملى لآمال عبد الناصر الطموحة فى التنمية ، وكان بين حجج جون فوستر دالاس، وزير الخارجية الأمريكية، وهو يسحب المساهمة الأمريكية فى تمويل السد . هو أن

مصر وشعبها وميزانيتها لا تستطيع تحمل أعباء مثل هذا الحلم العملاق!

وأثناء حرب السويس، وبعدها، أضاف جمال عبد الناصر إلى إمكانيات ووسائل التنمية عنصرين جديدين:

١- قناة السويس وقيمتها الإقتصادية ودخلها.

٢- مجموعة البنوك وشركات التأمين والتجارة الخارجية، التى كانت مملوكة للإنجليز والفرنسيين والبلجيك، وقد وضعت هذه المصالح تحت الحراسة فى ظروف الحرب أولاً، ثم صدر قرار بتمصيرها ثانياً، ثم تغيّر التمصير إلى التأميم ثالثاً، وكانت تلك أول نواة لقطاع عام يقوم بدور طليعى فى عملية التنمية.

ومع بداية سنة ١٩٥٧، كانت الفرصة قد أصبحت متاحة للتخطيط المدروس والشامل، وبدأ العمل، واستمر حتى سنة ١٩٦٧... عشر سنوات كاملة بغير انقطاع.

عشر سنوات تحملتْ فيها مصر ضغوطا اقتصادية ونفسية بغير حدود وتحملت فيها مصر مسئوليات عربية استوجبها دورها القومى.

ومع ذلك فإن هذا كله لم يوقف اندفاعها نحو التنمية، ولم يؤثر فى النتائج الباهرة التى حققتها.

طوال هذه السنوات العشر كانت نسبة النمو الإقتصادى فى مصر تسير بمعدّل ٢ر٦٪ سنوياً بالأسعار الثابتة الحقيقية.

بل إن هذه النسبة ارتفعت فى وسط الفترة، أى من سنة ١٩٦٠ إلى سنة ١٩٦٥، إلى معدل ٦ر٦٪.

ومصدر هذا الرقم تقرير البنك الدولى رقم (٨٧٠ - أ) عن مصر، الصادر فى واشنطن بتاريخ ٥ يناير ١٩٧٦ (أى مطلع هذه السنة التى نحن فيها الان).

هل يحتمل هذا المصدر أى شك؟

هل أصبح البنك الدولى متواطئاً مع عبد الناصر؟

وما الذى يعنيه هذا الرقم؟

يعنى أن مصر استطاعت فى عشر سنوات من عصر عبد الناصر أن تقوم بتنمية تماثل أربعة أضعاف ما استطاعت تحقيقه فى الأربعين سنة السابقة على عصر عبد الناصر.

كانت تلك نتيجة لا مثيل لها فى العالم النامى كله، حيث لم يزد معدل التنمية السنوى فى أكثر بلدانه المستقلة خلال تلك الفترة عن اثنين ونصف فى المائة.

بل إن هذه النسبة كان يعزّ مثيلها فى العالم المتقدم، باستثناء اليابان وألمانيا الغربية ومجموعة الدول الشيوعية.

وجاءت سنة ١٩٦٧. وكانت الصدمة الكبرى، ولكن تجربة التنمية المصرية كانت قادرة على تحمل أعباء الصمود.

ولكى يكون الكلام محددا، فإن الإقتصاد المصرى تحمل بعد سنة ١٩٦٧ بالمهام الأربع التالية:

١- تحمل هذا الإقتصاد عبء إعادة بناء القوات المسلحة (ولا أخوض فى تكاليف هذا العبء حتى لا أقع فى محظور السرية الواجبة).

٢- تحمل هذا الإقتصاد إتمام بناء السدّ العالى، ولم يكتمل بناء هذا السدّ، كما نتذكر، إلاّ سنة ١٩٧٠، حين وقف جمال عبد الناصر فى اخر احتفال حضره لعيد الثورة فى ٢٣ يوليو من تلك السنة يستهل خطابه التقليدى للأمة برسالة جاءته من وزير السدّ العالى يعلنه بأن بناء السدّ قد تمّ، وبأن بناة السد على استعداد لتحمل مسئوليات أية مشروعات كبرى غيره يكلفون بها.

(من المحزن أن صور جمال عبد الناصر نُزع معظمها أخيراً من منشآت السد العالى فى أسوان،

وقيل فى تبرير ذلك أن شاه إيران كان يريد زيارة السد، ولأن العلاقات بينه وبين جمال عبد الناصر لم تكن على مايرام، فقد رُئى رفع معظم الصور حتى لا تؤذى عينيه إذا وقعتا عليها. واعتقادى أن ذلك خطأ حتى فى تقدير مزاج الشاه، وأظنه لو عرف بما حدث لأبدى اعتراضه عليه، فإن الشاه رغم خلافه مع جمال عبد الناصر، يعترف له بدوره التاريخى الكبير).

٣- تحمل هذا الإقتصاد بأعباء مشروعات جديدة ضخمة، أبرزها مشروع مجمع الحديد والصلب، وقد وصفه الرئيس السادات بأنه مشروع «لا يقل ضخامة عن مشروع السد العالى»، ثم إنه من القواعد الأساسية لصرح الصناعات الثقيلة فى مصر.

٤- تحمل هذا الإقتصاد، فوق ذلك كله، عبء تثبيت أسعار السلع الإستهلاكية، فبقيت الحياة محتملة للسواد الأعظم من الجماهير.

كانت تلك شبه معجزة حملها الإقتصاد المصرى، ولم تكن المعجزة من صنع المصادفات أو عفاريت الجن، وإنما كانت من صنع طاقة إنتاجية متماسكة قادرة على تحمل صدمة فاجأتها على غير انتظار.

وتبدو قيمة هذه المعجزة فى الصمود إذا تذكرنا أن مصر فى ذلك الوقت لم تكن تحصل من الدعم العربى إلا مانصت عليه اتفاقية الخرطوم سنة ١٩٦٧، وكان فى حدود مائة مليون جنيه كل سنة، تكاد توازى تماماً ما فقدته مصر بإغلاق قناة السويس وضياع دخلها.

وأسأل بإنصاف:

- هل هذه صورة اقتصاد تركه جمال عبد الناصر خراباً تنعق فيه البوم والغربان، أم أنه على العكس من ذلك، اقتصاد استطاع الاستجابة للتحديات؟

ولربما ردّ البعض، وردُّهم متوقع:

- والديون .. نسيت الديون !؟

ليكن، ولنتوقف لحظة أمام حديث الديون.

تقول الأرقام:

سنة ١٩٧٠ (سنة رحيل عبد الناصر) كان مجموع الديون التى تتحملها مصر هى أربعة الاف مليون دولار، هى مجموع الدين المدنى والعسكرى، وكان معظمها للإتحاد السوفييتى، على أقساط ممتدة، وبسعر فائدة قدره ٢ر٥ بالمائة.

وكان الدين المرهق هو الدين القصير الأجل، وهو قروض بتسهيلات مصرفية ولموردين فى حدود مائة وثمانين يوما والفوائد عليها عالية، مابين ١٠ إلى ١٤ فى المائة.

كان حجم هذا الدين هو ١٠٤ ملايين جنيه.

هذه هى صورة الديون، فكيف يمكن أن نضعها فى إطارها الحقيقى.

الدين الخارجى الرئيسى، وهو أربعة الاف مليون دولار مثلا، يوازى ربع مثيله الصهيونى مثلا، مع التباين الهائل فى عدد السكان (٣٦ مليونا فى مصر وثلاثة ملايين فى إسرائيل) وفى قياس اخر فهو يمثل نصف الدين التركى!

وإذا ما تذكرنا أن معظم الديون كانت فى الحقيقة لتمويل مشروعات إنتاج لوجدنا أن الصورة ليست مخيفة..

ولكن أكثر ما كان يزعج جمال عبد الناصر هو الدّيْن القصير الأجل، معظمه استهلاكى، واستحقاقاته قريبة، وفوائده عالية.

كان حجم هذا الدّين، كما قلنا، ١٠٤ ملايين جنيه سنة ١٩٧٠- وكيف يمكن أن نضع هذا الدّين فى

إطاره الحقيقى، عن طريق المقارنة والقياس.

ماذا لو أجرينا المقارنة والقياس على حجم هذا النوع من الدَّين سنة ١٩٧٥؟!

تقول الأرقام إن هذا النوع من الديـون القصيرة الأجل على مصر وصل فى شهر يناير سنة ١٩٧٥ إلى ١٠٠٤ ملايين جنيه.

أى أنه من سنة ١٩٧٠ إلى سنة ١٩٧٥ زاد عشر مرات .

يبقى أن أقول إن مصدر هـذه الأرقام تقرير رسمى للبنك المركزى المصرى قـدَّمه إلى البنك الدولى، وورد فى تقرير البنك الدولى رقم ٨٧٠ – أ عن مصر ، الصادر فى ٥ يناير ١٩٧٦ (بداية هذه السنة!).

وأسأل:

– هل أنـا فى حاجة إلى أرقـام أخرى لكـى أقول – وبمنتهى الهدوء – إن عبـد الناصر لم يترك حين رحيله خراباً تنعى الغربان والبوم أطلالها؟

ومع ذلك، أسوق هذه الأرقام المقارنة فى عدد من المجالات المهمة.

فى مجال الإدِّخار الوطنى والتنمية:

سنة ١٩٧٠ (سنة رحيل عبد الناصر) كان الإستهلاك العام والخاص فى مصر بنسبة ٩٠ بالمائة – وكانت المدّخرات الوطنية المتاحة من الداخل للتنمية بنسبة ١٠ بالمائة من الدخل القومى.

سنة ١٩٧٥ وصل الإستهلاك العـام والخاص إلى نسبة ١٠١ر٥ بالمائة أى أن الاستهلاك زاد على الدخل القومى كلّه بواحد ونصف فى المائة – أى أن مصر أصبحت تأكل من رأسمالها .

فى مجال التضخم:

سنة ١٩٧٠ (سنـة رحيل عبد الناصر) كـانت نسبة التضخُّم السنوى فى مصر فى حـدود ٥ بالمائة سنوياً.

سنة ١٩٧٥، كانت نسبة التضخم السنوى فى مصر مابين ٢٠ إلى ٢٥ فى المائة.

فى مجال الدعم العربى لمصر:

سنة ١٩٧٠ (سنة رحيل عبد الناصر) لم يكن هناك غير اتفاقية الخرطوم.

سنة ١٩٧٥، قدّمت الدول العـربية ، علاوة على اتفاقية الخرطوم، وزيـادة عليها ، مايكاد يصل إلى ألفى مليون دولار.

وإذا أردت أن أكون منصفاً لكلِّ الأطراف ، فإننى أقول:

– إن عبد الناصر لم يترك خـراباً ينعق البوم والغـربان على أطلاله، وإنما تـرك اقتصاداً قادراً على الإستجابة ، وبالتأكيد فلقد كانت لهذا الإقتصـاد مشاكله، ولكن معظمها كانت مشاكل نموّ ، إلى جانب مشاكل خلط فى الأولويات ، وقصور الإدارة.

ولكن الصورة العـامة لم يكن فيهـا مايـدعو إلى التشاؤم ، وإنما كـان فيها مـا يستدعى التطـوير والتحديث، خصوصاً فى الإرادة.

والصورة التى نراها الان – بأرقام سنة ١٩٧٥ – تبـدو مزعجة ، ولكن الأعذار يمكن أن تساق لها من عـوامل كثيرة ، بعضهـا خارج عن الإرادة مثل ارتفـاع أسعـار المواد الغـذائية الـذى جعل الـدعم الحكومى لهذه السلع يرتفع من ٨٠ مليون جنيـه سنة ١٩٧٠، إلى ٦٥٠ مليون جنيه سنة ١٩٧٥ ، ثم إلى زيادة نسبة التضخم العالمى، ثم إلى القفزة الهائلة فى أسعار الوقود.

نستطيع هنا – ١٩٧٥ – أن نجد مبرِّرات وأعذاراً.

ولكننا لا نستطيع – بالإنصاف – أن نقول إنه من هناك – سنة ١٩٧٠ – بدأت المشكلة حين ورثنا خراباً ينعق البوم والغربان على أطلاله!

ليس ذلك صحيحاً.

ثم إنه ليس أميناً!

ويقال إن الحل هو «الإنفتاح» وتشجيع رأس المال الخاص على استثمار أمـواله، والتوسُّل إلى رأس المال الأجنبى أن يطلّ علينا بنظرة عطف ورضى.

وهل لى أن أذكر ماتقوله الأرقام؟

تقـول الأرقام إن القطـاع العام يسيطـر على ٣٠ بالمائة من وسـائل الإنتاج، وإن القطـاع الخاص يسيطر على ٧٠ بالمائة (بما فى ذلك الزراعة ، مع ملاحظة أن النسبة فى الصناعة وحدها هى ٧٥ بالمائة للقطاع العام، و٢٥ بالمائة للقطاع الخاص).

ومع ذلك ، فإن القطاع العـام أسهم مباشرة فى ميزانيـة الدولة سنة ١٩٧٥ بما قيمتـه ٨٠٠ مليون جنيه، على شكل أرباح وضرائب ورسوم مباشرة.

وفى نفس الوقت ، فإن إسهام القطاع الخاص فى هذه المجالات فى ميزانية الدولة سنة ١٩٧٥ لا يزيد على ثلاثين مليون جنيه!!

ولست أريـد أن أقلل من أهمية نشـاط القطاع الخاص ولكن قـوة التقدُّم الكبرى تبقى هى القطـاع العام.

ورأس المال الأجنبى؟

سـوف أعطى نموذجـاً واحداً ، وأقفل فمـى بعده وأسكت فى السنتين الأخيرتين، وبـرغم أصابعنـا العشرة التى أوقدناها شموعاً لرأس المال الأجنبـى، كان مجموع استثماراته فى مصر حتى شهر يوليو ١٩٧٥ – من أولها إلى اخـرها – ثـلاثـة ملايين جنيـه استرلينى بـالتمام والكمال جاءت مسـاهمة فى مشروعات مشتركـة أبرزهـا مشروع «ويمبى» لبيع اللحم المشوى، ثم مشروع دجـاج «كنتاكي» لبيع الدجاج المقلى، وقد دخلت فى الإستثمارات تحت بند مشروعات سياحية.

وبقية أساطير الانفتاح مازالت هناك مع السحاب، ثم مرة أخرى :ماذا أقول؟!

★ ★ ★ ★



مولد زعيم

بقلـــم :

أوليج كوفتونوفيتش

عن كتاب ثورة الضباط الاحرار

ولد جمال عبـدالناصر حسين فى ١٥ يناير ١٩١٨ فى الأسكنـدرية. وكان والده عبـدالناصر حسين ينحدر من أسرة فلاحية من قرية «بنى مر» القـريبة من أسيوط بجنوب مصر، وقد عمل موظفا صغيرا بالبريد، تزوج عام ١٩١٧ فى الاسكندرية من فاطمة ابنة تاجر الفحم محمد حماد، وكانت طبيعة عمله تتطلب أن يتنقل عبدالنـاصر وعائلته بين مناطـق مصر، وفى ١٩٢١ وصل مع عائلته إلى قريـة مصرية بالقرب من السـويس ثم إلى قرية الخطاطبـة التى تبعد ٤٠ كيلو مترا عن القاهـرة ثم إلى دمنهور وإلى الاسكندرية وأخيراً إلى القاهرة.

عاشت أسرة الموظف الصغير، الذى لا يملك شيئا سوى راتبـه الشهرى، حياة متواضعة لا تختلف كثيرا عن حياة مئات الآلاف من الكادحين. وكان رب الأسرة بحكم عمله كثير الترحال والتنقل.

وأثر هـذا النمط من الحياة تأثيرا كبيراً على القائد المقبل لحركـة الضباط الأحرار، الـذى تمكن منذ الصغـر من التعرف على واقع بـلاده وعلى المعـاناة الشـديـدة الوطأة التى يعيشهـا الشعب المصرى. والتحق جمال عبدالناصر با لمدرسة الابتدائية بمدينـة أسيوط، ثم بمدرسة السكك الحديدية عامى ٢٣ ـ ١٩٢٤ بقـرية الخطاطبة حيث عمل أبـوه، ثم أرسله والده للإقـامة بالقاهـرة مع عمه خليل حسين، وهنـاك التحق عبدالنـاصر بمدرسـة النحاسين الابتـدائية. وكـان جمال عبدالنـاصر يقضى أجازتـه المدرسية عـادة عند والديه فى الخطـاطبة. وفى عام ١٩٢٦ تـوفت والدته، وكان شـديد التعلق بها ولم ينقطع عن مراسلتها. وفى ذكريات أنور السادات، يشير حـول تعرفه بجمال عبدالناصر فى منقباد بعد مروراثنى عشر عاما على وفاة والدته إلى أنه «كان أحد زملائنا ضابطا شابا شجاعا وصريحا.. متحفظا وجادا. وكنـا لا نكاد نبدأ أحاديث فـارغة حتى يقاطعنـا جمال عبدالناصر ليبـدأ معنا مناقشة قضـايا مهمة. لقد فقد والـدته منذ الصغر وظل يحمل داخله آثار هذه المحنـة». وكان عم جمال، بطبيعة عمله كموظف فى وزارة الأوقاف، يتغيب كثيراً عـن القاهرة، ولذا شد جمال الـرحال إلى الاسكندرية لـلإقامة عند جـده لأمه. وفى هـذه الفترة بالـذات بدأ لأول مـرة مع زملائه مـن التلاميـذ الاحتكاك بـالأحداث السياسية والمشـاركة فى المظاهرات العـاصفة التى تندلع ضـد السياسة الرجعية لحكـومة إسماعيل صدقى. وأثناء تفريق البوليس لإحدى المظاهرات تلقى جمال ضربة عصا شديدة.

وفى ١٩٣٣ انتقل أبوه للعمل فى القاهرة والتحق جمال بمدرسة النهضة التى درس بها سنتين، وهنا أيضاً أخذ يشارك فى المظاهرات، وبدأ يتمعن فى الأسـاليب المختلفة للنضال. وقد كتب ناصر فى «فلسفة الثورة».. وفى تلك الأيـام قدت مظـاهرات في مـدرسة النهضة، وصرخت من أعماقـى بطلب الاستقلال التام، وصرخ ورائى كثيرون.. ولكن صراخنـا ضاع وبددتـه الرياح أصداء واهنـة لا تحرك الجبال ولا تحطم الصخور..

ثم أصبح العمل الإيجابى فى رأيى أن يجتمع كـل زعماء مصر ليتحدوا على كلمـة واحـدة، وطـافت جموعنا الثـائرة ببيوتهم واحدا واحدا تطلب إليهـم باسم شباب مصر أن يجتمعوا على كلمـة واحدة.. ولكن اتحادهم على كلمة واحـدة كان فجيعـة لإيمانى، فإن الكلمةالواحـدة التى اجتمعوا عليهـا كانت معاهدة ١٩٣٦. والتحـق ناصر، بعد تخرجه من المدرسة الثـانوية، بكلية الحقـوق حيث قضى سبعة أشهر، ثم انتقل للدراسة بالكلية الحربية.

وأثناء دراسته ولع عبدالنـاصر بالقراءة والمطالعة، واستهوته بشكل خـاص قراءة التاريخ العربى والإسلامى والصحافة الوطنية العربيـة.. فتعرف على الماضى العظيم لمصر والبلدان العربية الأخرى، وعلى سنوات الذل والهوان على يد المحتل الأجنبى. وعلى نابليون وفـولتير وروسو وغاندى. وقرأ وهو ما زال تلميذا فى المدرسة مـؤلفات شكسبير وديكنز وهوجو. وأثناء دراسته بالحربيـة أخذ ناصر يولى اهتماما خاصا للمشاكل السياسية والاجتماعية فى الشرق الأوسط.

وقبل أن ينهى دراسته الثانـوية كان ناصر قد تعرف على الـواقع السياسـى فى مصر، وعلى الأحزاب السياسية، واهتم بفهم طبيعة حزب الوفد بمتابعة نضاله والتعرف على تاريخه، حيث كان الوفد آنذاك يقود النضال من أجل الاستقـلال الوطنى، وسرعان ما أدرك عبـدالناصر التدهور الـذى أصاب حزب الـوفد الـذى كانت قيـاداته فـور وصولها للحكم لا تهتم بمصـالح البلاد قـدر اهتمامها بمصـالحه الخاصة.

وأخذ ناصر يزور قادة مختلف الأحزاب السياسية التقليدية ويدرس برامج هذه الأحزاب ويتابع نشاطها، باحثا أثناء ذلك عن القوة الوطنية الحقيقية القادرة على قيادة نضال الشعب المصرى ضد الاحتلال ومن أجل إسقاط النظام الملكى الفاسد وإخضاع مقدرات البلاد لمصلحة تطويرها، ورفع المعاناة الشديدة عن كاهل الشعب المصرى، ويشير بعض الباحثين إلى أن ناصر قد أقام آنذاك علاقات حتى مع حزب مصر الفتاة، وقد يكون السبب فى ذلك هو انجذاب الشاب غير المحنك سياسيا إلى الشعار البراق الذى رفعه الحزب «مصر للمصريين» إلا أن عبدالناصر لم ير فى أى من الأحزاب القائمة آنذاك حزبا يستحق أن ينخرط فى صفوفه ويكرس كل قدراته لخدمة أهدافه، ونستعين هنا برسالة جمال عبدالناصر فى ٢ سبتمبر ١٩٣٥ إلى أحد أصدقائه لإلقاء الضوء على شخصية ناصر وهو فى السابعة عشر من عمره: («أخى على.. خاطبت والدك يوم ٣٠ أغسطس فى التليفون، وقد سألته عنك فأخبرنى أنك موجود بالمدرسة.. لذلك عولت على أن أكتب إليك ما كنت سأكلمك فيه تليفونيا.. إن الموقف اليوم دقيق ومصر فى موقف أدق.. ونحن نكاد نودع الحياة ونصافح الموت، فإن بناء اليأس عظيم الأركان. فأين من يهدم هذا البناء..؟

والحكومة تنشر الفساد والمحسوبية. من يستطيع أن يبدل هذا الوضع؟ الدستور معطل، بل ويمكن استبداله بوضع مصر تحت الحماية البريطانية.. أين الحماس الوطنى الذى أفعم صدور الجميع عام ١٩١٩؟ أين البشر المستعدة للتضحية من أجل بلادنا؟ الجميع الان محبط، بل إننا نتخلف إلى الوراء.. من المهم الان وجود زعيم لقيادة المصريين فى النضال من أجل بلادهم.. عندئذ ستتحول مصر إلى صواعق تقتلع جذور القهر.

وكل ما يحدث الان هو فقط الاستعداد الطويل لبداية عمل أهم وله مغزى أكبر. لقد تحدثنا طويلا عن رغبتنا في العمل المشترك لإيقاظ الأمة من سباتها وإحياء القوة الدفينة داخل الناس.. إلا أنه، وا أسفاه حتى الان لم يحدث شيء.

عزيزى سأنتظرك بمنزلى يوم ٤ سبتمبر ١٩٣٥ فى الرابعة بعد الظهر، أتعشم أن تأتى.

وتدل هذه الرسالة على قلق جمال عبدالناصر على مصير بلاده، وسعيه لإيجاد وسيلة لتحريرها، وانشغاله بقضايا النضال السياسى مع زملائه، منذ وقت مبكر فى حياته - أى عام ١٩٣٥.

أنهى عبدالناصر عام ١٩٣٨ دراسته فى الكلية الحربية ومنح رتبة ملازم ثان، وأرسل للخدمة فى فرقة مشاة منقباد التابعة لمديرية أسيوط فى جنوب مصر، ثم نقل إلى الاسكندرية عام ١٩٣٩ ثم إلى السودان حيث أمضى سنتين.

وفى عام ١٩٤٢ بدأ دراسته في كلية أركان الحرب، وما أن أنهى دراسته حتى عين مدرسا للتكتيك وفنون الحرب فيها.

شارك عبدالناصر فى حرب فلسطين عامى ١٩٤٨ ـــ ١٩٤٩، وأبدى شجاعة وصلابة فى المعارك، وبشكل خاص حين وقعت فرقته فى حصار الفالوجا المشهور، حيث جرح هناك. وقد منح بعد ذلك العديد من الأوسمة والنياشين.. وبعد عودته من الجبهة عمل من جديد مدرسا فى كلية أركان الحرب.

ومنذ البداية ارتبط ظهور الضباط الأحرار ارتباطا وثيقا بنشاط جمال عبدالناصر. فقد أسس الضباط - وفق رواية أنور السادات - فى منقباد مع بداية ١٩٣٩ جمعية سرية تستهدف تحرير البلاد: ماذا قال لها جمال عبدالناصر عندما جلسنا حول النار على جبل الشريف؟ قال لنا.. يجب علينا النضال ضد الاستعمار والحكم الملكى والإقطاع، حيث إننا يقع علينا ـــ نحن أيضا ـــ الظلم والقهر والاستعباد، وأن كل وطنى يطمح إلى ديمقراطية قوية حرة. إن هذا الهدف سيتحقق لو استخدمنا قوة السلاح، إن هذه المهمة ملحة لأن البلاد تعيش حالة من الفوضى. وأن الحرية هى حقنا الطبيعى، والطريق مفتوح أمامنا، إنها الثورة.

ولعبت حرب فلسطين ٤٨ ـــ ١٩٤٩ دوراً مهما في تطوير وإنضاج حركة الضباط الأحرار. ومنذ بداية الأحداث التى أدت إلى الحرب عرض جمال عبدالناصر ورفاقه على مفتى القدس أمين الحسينى العمل مع الفلسطينيين كمدربين، متطوعين، إلا أن المفتى رفض بحجة عدم وجود موافقة من الحكومة المصرية، وحاول عبدالناصر الاستقالة للالتحاق بفرق المتطوعين بدمشق، إلا أن استقالته رفضت. وتمكن بعض رفاق عبدالناصر من الخروج من الجيش مؤقتا والالتحاق بفرق المتطوعين فى فلسطين. فشارك كمال الدين حسين فى المعارك التى دارت جنوب القدس كضابط مدفعية، وشارك عبداللطيف البغدادى وحسن إبراهيم فى وضع خطط تغطية الطيران للمعارك.

ومع بداية الحرب حصل عبدالناصر على ترقية وأرسل للجبهة، وأصيب هناك إصابة شديدة فى معارك حصار الفالوجا وعراق المنشية. وكانت القوات المصرية المحاصرة منذ أكتوبر ١٩٤٨ قد رفضت طلب الصهاينة بتسليم أسلحتها، فقام المعتدون الإسرائيليون فى ٢٩/١٢ بالهجوم على المواقع المصرية فى عراق المنشية، إلا أن الكتيبة المصرية بقيادة عبدالناصر قامت بنجاح بهجوم مضاد استطاعت على أثره فك الحصار.

عانى عبدالناصر ورفاقه معاناة شديدة من جراء فشل الجيش المصرى والجيوش العربية الأخرى، وكانوا يعتبرون أن الحكومات العربية والقيادة العسكرية المفلسة مسئول رئيسي عن هذا الفشل. فقد وقع الجنود المصريون، الذين لم يعرفوا حتى لماذا يحاربون، ضحية خطط فاشلة وضعتها القيادة العليا التى اهتمت فقط باحتلال أكبر مساحة من الأراضى الفلسطينية.

وكتب عبدالناصر فى فلسفة الثورة يقول إنه توصل أثناء الحصار إلى استنتاج مفاده أن الظروف السياسية المحيطة بالعاصمة التى نتلقى منها الأوامر تحيطها بحصار وتلحق بها عجزا أكثر من الذى تصنعه بنا نحن التابعين فى منطقة الفالوجا.

وأصبح واضحا بالنسبة لعبدالناصر أيضاً أن هزيمة العرب ترجع إلى الدعم الذى قدمته الإمبريالية لإسرائيل بشكل مباشر وغير مباشر عبر الخونة من الحكام والسياسيين العرب، وعلى رأسهم حاكم مصر..

وتعليقا على ما حدث كتب عبدالناصر بانفعال عاطفى: «لم ألتق فى فلسطين بالأصدقاء الذين شاركونى فى العمل من أجل مصر، وإنما التقيت أيضا بالأفكار التى أنارت أمامى السبيل.. وكثيراً ما قلت لنفسى: «هانحن هنا فى هذه الجحور محاصرون، لقد غرر بنا، دفعنا إلى معركة لم نعد لها، لقد

لعبت بأقدارنا مطامع ومؤامرات وشهوات.

وحين كنت أصل إلى هذا الحد من التفكير كنت أجد خواطرى تقفز فجأة عبر ميادين القتال، وعبر الحدود، إلى مصر، وأقول لنفسى: هذا هو وطننا هناك، إنه «فالوجا» أخرى على نطاق كبير.. إن الذى يحدث لنا هنا صورة من الذى يحدث هناك.. صورة مصغرة.

وطننا هو الاخر حاصرته المشاكل والأعداء وغرر به».

وفى الجبهة التقى عبدالناصر بمعظم أعضاء مجموعته، إذ كان يحارب كتفا إلى كتف مع عبدالحكيم عامر وخالد محيى الدين وصلاح سالم وثروت عكاشة وكمال الدين حسين.

وعرف عبدالناصر فى حرب فلسطين جنديا وطنيا شجاعا مقداما، وعززت الحرب موقعه القيادى بين الضباط الوطنيين، ووطدت فى نفس الوقت أواصر الصداقة والثقة فيما بينهم.

★ ★ ★ ★



حلف بغداد

بقلم:

ديوان بيراند راناث

من كتاب جمال عبد الناصر الرجل والمعجزة

لا يمكن لأى ثورة ناجحة أن تمر فى طريقها دون تحديات قوى الرجعية. فلقد أثارت الثورة الفرنسية حنق ملوك أوربا كلها الذين اتحدوا فى حلف ـ غير مقدس ـ أطلقوا عليه «الحلف المقدس» كى يسحقوا الثورة، وواجهت الثورة الروسية فى مهدها عدواناً اتحدت فيه جاراتها. ولم يكن للثورة المصرية بدورها أن تسير دون تحد. وظهرت كراهية الاستعمار الأجنبى الشديدة للثورة عندما تأكد أنها باقية مستمرة.

وقد أمكن تشكيل حلف عسكرى غربى فى جنوب شرقى آسيا بالرغم من معارضة الدول غير المنحازة مثل الهند. كان الأساس الذى قامت عليه الأحلاف العسكرية عام ١٩٥٤ فى آسيا الغربية بين باكستان وإيران وتركيا والعراق هو الأحلاف الثنائية، وقد أصبح ذلك نواة إلى ما أسموه «بحلف الأمن الجماعى» الذى عرف فيما بعد بـ«حلف بغداد». ولقد وضعت الولايات المتحدة الأمريكية فى تقديرها أن تستخدم باكستان كقائدة للدول الإسلامية من غير الدول العربية وأن تمثل العراق بقيادة ذلك الداهية الرجعى نورى السعيد القاعدة الغربية فى العالم العربى. ومن هنا فقد قام نورى السعيد بزيارة طويلة للقاهرة حاول أثناءها بكل وسائل الإغراء أن يجر مصر إلى الحلف المزعوم. ولقد باءت بعثة نورى السعيد بالفشل بعد أن رفض عبد الناصر الفكرة نهائياً. ومع ذلك فلقد برز حلف بغداد إلى الوجود رسمياً عام ١٩٥٥.

وكان على عبدالناصر أن يحمل لواء المقاومة بشـدة كما حملت الهند لواء المقاومة ضد حلف جنوب شرقى آسيا على السواء.

ولقد كتب أحـد الباحثين الأمـريكيين وهو كيث هـويلوك يقـول «يعتبر حلف بغداد نقطـة التحول الرئيسيـة فى التطور القيادى لمصر. فإن القيادة الثـورية التى قلبت النظام السابق ودعـائمه فى مصر لتتجـه الآن نحو النـاصرية التى أصبحت قـوة فى العـالم العربى (عن كتـاب «مصر الحديثة فى عهـد عبدالناصر» ـ Nasser's New Egypt ـ ص ٢٢٢).

وفى هذه الأثنـاء كان على مصر أن تتحمل ضغطـاً جديداً فلقـد بدأت إسرائيل سلسلـة من الغارات الجوية على الأراضـى المصرية المجـاورة مع بدايـة عام ١٩٥٥ كـانت أشدهـا خطورة فى فبرايـر عام ١٩٥٥. ولقد كان سبب هذه الغارات وما أسمته إسرائيل «بـالتحرش» هو تنفيذ القاهرة لحكم الإعدام فى جاسـوسين إسرائيليين. وقد اتخذت إسرائيل من ذلك ذريعـة لشن غاراتها الـوحشية التى لا تنقطع على غزة حيث ضربت المستشفى وحـرس الميناء بالقنـابل. وكانت نتاذج هـذه الحركات البربريـة هو استشهاد أكثر من ٤٠ مواطناً.

وأصبح من الواضح بعـد هذه الغارات أن مصر لن تدخـر وسعاً فى الاستعداد للدفـاع عن نفسها، وأصبح من الضرورى أن تبتاع أسلحة جديـدة تواجه بها هذا الخطر. ولقد بـذل عبدالناصر قصارى جهده لشراء الأسلحة من الولايات المتحـدة الأمريكية وقد أكد هذه الحقيقة جيفرسـون كافرى ـ الذى كان يعمل آنـذاك سفيرا للولايـات المتحدة فى القاهـرة ـ فى بيـان ألقاه أمام لجنـة العلاقـات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمـريكى فقال «ظل عبـدالناصر متلهفـاً فى عامى ٥٤ ـــ ١٩٥٥م على الحصول على مساعدات عسكرية غير مشروطة ولكن لنا شروطاً». ومن هنا فشلت الصفقة. (عن كتاب كيث هويلوك «مصر الحديثة فى عهد عبدالناصر» ـ Nasser's New Egpyt ـ ص ٢٢٩).

دلهى وباندونج:

فى زحمة الأحداث التى تعرضت لها مصر من ضغوط غربية تستهدف وضعها فى حالة حرب باردة مع الأحلاف العسكرية وموقف إسرائيل العدائى وتجمع غيوم القوى المعادية فى كل العواصم العربية الرجعيـة تسلم عبدالناصر على غير هـوى الغرب دعوة لحضور مـؤتمر باندونج. كـان من بين القواد الآسيويين الخمس الذين وجهـوا الدعوة إليه واحـد على الأقل لم يكن غريباً عليه. كـان ذلك القائد هو جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند ومؤسس النهضة الأفروـ آسيوية وصاحب مفهوم عدم الإنحياز.

لقد قابل عبدالنـاصر نهرو خلال مروره الثانى على القاهرة فى يونيـو عام ١٩٥٣. تأثرت منذ ذلك التاريخ أفكار عبدالناصر الشابة النشطة بمفهوم «الحياد» الذى أخذ به المجتمع الأفرو ـ آسيوى.

كانت للاستراحة القصيرة التي قضـاها عبدالناصر فى نيودلهى وهو فى طريقـه إلى باندونج أهمية بالغة. وكثيراً مـا صرح عبدالناصر بنفسه بأثـر هذه الزيارة على أفكـاره. وعلى سبيل المثال فقد صرح عبدالناصر للمـؤلف أثناء مقابلة له فى القـاهرة قائلا «إن زيارتى للهند كـانت نقطة تحول في مفهومى السياسى.

فلقد تأكدت أن الحياد الإيجابى وعدم الإنحياز هما الطريق الأمثل لسياستنا الحكيمة، كما وجدت من صدى ذلك التجاوب بعد عودتى أنها السياسة الوحيدة التى يمكن أن تلقى أكبر تأييد ممكن من الشعب العربى».

(التربيون، أمبالا فى ٢٧ أبريل عام ١٩٥٧ ونقلت أيضاً عن كتاب «مصر الحديثة فى عهد عبدالناصر» ـ Nasser's New Egypt ص ٢٣٠ للكاتب كيث هويلاك).

ولقد أبرز عبدالناصر هذا الاتجاه الفكرى فى أول زيارة له للهند عندما ألقى خطاباً فى مؤتمر شعبى كبير بنيودلهى حيث قال «إن التعاون المشترك بين بلدينا يمكن أن يعتبر مثلا يحتذى به للتعاون المثمر بين شعوب العالم. فلنرتفع إلى مستوى الأحداث التى نعيشها ولا ننسى هذه الفرصة الفريدة التى أتيحت لنا» كانت اتفاقية الصداقة القائمة والموجودة بين الشعبين قد دعمت بمعاهدة صداقة جديدة وقعت بالقاهرة قبل ذلك الخطاب فى السادس من أبريل. ولقد وجد التعاون المتزايد بين الهند ومصر أكبر تعبير له فى باندونج حيث وجهت دول عدم الإنحياز بوقفتها المشتركة لطمة قوية لأعوان الاستعمار.

وفى باندونج.. ولأول مرة سمع العالم الصوت الحقيقى لمصر الحديثة الذى لا يعلن عن قوة تضامنه مع آسيا وأفريقيا فحسب ولكن يعلن عن عزمه الأكيد في محاربة كل تدخل أجنبى. إن الطريقة التى تأثر بها الساسة القدامى ــ فى هذه المنطقة ــ بذلك الشاب الذى بعث من أرض أبى الهول ليظهر لأول مرة فى التجمعات الدولية الوثيقة الصلة بمؤلف هذا الكتاب الذى كان يغطى أخبار مؤتمر باندونج حتى نهايته مع الرئيس جواهر لال نهرو. ولقد قال لى نهرو فى إحدى مقابلاته: إن عبدالناصر من بين سائر القواد ليترك فى النفس أعمق الأثر. إنه ليس شاباً وقوة محركة فحسب ولكنه أظهر إدراكا فائقاً بالنسبة لمشاكل العالم السياسية المعقدة كما أنه يساند كل الذين يعملون من أجل السلام والحرية فى المنطقة مساندة لا تقدر. وبالرغم من أن هذه هى أول تجربة له في التجمعات الدولية إلا أن دوره يعتبر من أعظم الأدوار وأكثرها فاعلية من وجهة نظرنا «تربيون، آمبالا، ٢٦ أبريل ١٩٥٥.

إن الحماس الشعبى الذى قوبل به عبدالناصر فى أى مكان زاره ليثير دهشة كل فرد. ولقد أخذ على عاتقه ـ فى هذه الأثناء ـ مسئولية تصعيد الكفاح ضد السيطرة الفرنسية من أجل الاستقلال فى شمال افريقيا العربي. وأصبحت مصر أقوى المراكز التى تساند الكفاح من أجل الحرية فى الجزائر والمغرب وتونس كما عزز مركزه فى الشعوب العربية التى تكافح للحصول على حريتها أو الحفاظ عليها.

لقد أثارت مواقف «فتى بنى مر» فى باندونج غضب الغرب وحنقه فقرروا إجراء انتقامياً ما أسموه منع تصدير الأسلحة إلى مصر وكان السبب الذى تذرعوا به لاتخاذ هذا الإجراء هو «الرغبة» فى المحافظة على كبح جماح العرب وإسرائيل. ولم يمنع ذلك من يدعون حماة السلام فى غرب آسيا. من إمداد إسرائيل بكميات ضخمة من السلاح والذخيرة.



مساعدات للدول الافريقية حديثة الاستقلال

بقلم:
محمد فايق
عن كتاب عبد الناصر وأفريقيا

وقف جمال عبد الناصر مع كل الدول الإفريقية التى كانت تناضل من أجل تحرير إرادتها والخروج من دائرة السيطرة الاستعمارية كما وقف من قبل مع كل حركة تحرير أفريقية تناضل من أجل استقلال بلادها . وكان ذلك إيماناً منه بحق الشعوب فى تقرير مصيرها وتدعيم استقلالها وإيماناً بوحدة النضال فى مواجهة الاستعمار الجديد الذى يريد الانتقاص من استقلال الدول الجديدة .

وكان عبد الناصر يشعر بمسئولية خاصة حيال الدول الإفريقية حديثة الاستقلال، فمصر التى اشتركت وساهمت مساهمة إيجابية فى إنهاء الاستعمار التقليدى كانت تريد الاستفادة برياح التغيير المتعاظمة التى تهب على القارة و قبل أن تهدأ الرياح ويبطل مفعولها باستقلال تكبله اتفاقات وارتباطات غير متكافئة مع دول الاستعمار القديمة . فكان عبد الناصر يريد لأكبر عدد من الدول الإفريقية أن تستكمل استقلالها و إرادتها لأنه يرى فى ذلك تأميناً وتعزيزاً لاستقلال مصر .

كما كان يشعر عبد الناصر بمسئولية خاصة حيال تدعيم سياسة عدم الانحياز فى إفريقيا باعتباره أحد أقطاب هذه السياسة، الأمر الذى كان يفرض عليه مساعدة الدول الإفريقية فى معاركها للتحرر من السيطرة الأجنبية وحتى تكون قادرة على الوقوف فى صف الدول غير المنحازة .

بهذا المفهوم قدمت مصر مساعداتها إلى الكثير من الدول الإفريقية حديثة الاستقلال والتى سنتعرض لبعضها فيما بعد . ولكن يهمنا قبل ذلك إيضاح أن موقف عبد الناصر المبدئى والصريح من الاستعمار الجديد فى إفريقيا كانت له أيضاً دوافعه القومية والمحلية المرتبطة باستراتيجية وأهداف السياسة المصرية وهى :

١- مقاومة النشاط الإسرائيلى فى إفريقيا .

٢- فتح مجال التعاون الاقتصادى مع دول القارة الإفريقية .

مقاومة النشاط الإسرائيلى فى إفريقيا

كان عبد الناصر يعطى أهمية خاصة لمقاومة النفوذ والنشاط الإسرائيلى فى إفريقيا وذلك لاستكمال حلقات الحصار الاقتصادى الذى فرضته عليه الدول العربية .

وكانت إسرائيل تحاول بكل ثقلها خلق مصالح وعلاقات تجارية مع المستعمرات الإفريقية قبل الاستقلال مستفيدة من الوجود الاستعمارى وشركات الاحتكار الغربية والنفوذ اليهودى المتغلغل فيها وذلك بقصد كسر الحصار الاقتصادى الذى فرضته عليها الدول العربية وأيضاً لضمان اعتراف الدول الإفريقية بمجرد استقلالها بإسرائيل . وكانت مشكلة الاعتراف هذه من المشكلات التى تؤرق إسرائيل كثيراً فى ذلك الوقت لوجود عدد كبير من دول العالم لم يكن قد اعترف بها . ومن أجل ذلك أقامت إسرائيل قنصليات عديدة فى المستعمرات الإفريقية حتى تتحول إلى سفارات بمجرد الاستقلال . هذا فى الوقت الذى لم تكن تسمح فيه السلطات الاستعمارية للمصريين بمجرد زيارة هذه الأقاليم .

وأذكر عندما كانت بريطانيا تسعى لعودة العلاقات مع مصر والتى كانت قد قطعت بعد حرب السويس، طلبنا إقامة قنصليات مصرية فى بعض العواصم الإفريقية مثل نيروبى أسوة بما هو متبع مع إسرائيل ولكن الانجليز رفضوا متحججين بعذر سخيف إذ قالوا إن هذه القنصليات فخرية ولايسمح بها إلا لرعايا بريطانيا، فالقنصل الإسرائيلى فى نيروبى يهودى ولكنه يحمل الجنسية البريطانية ونظراً لعدم وجود مصريين يحملون الجنسية البريطانية فى هذه المناطق فلايمكنهم الاستجابة لهذا الطلب . والحقيقة أن سبب التفرقة هو أن إسرائيل كانت تعمل لحساب الاستعمار وأداة له وتتفق مصالحها مع مصالحه فى الوقت الذى كانت فيه مصر تقف بكل قوة مع الحركات الوطنية وحركات التحرير وتقدم لها المساعدات .

ونلاحظ أن جميع الدول الإفريقية التى دخلت فى صدام حقيقى مع الاستعمار وقاومت الاستعمار الجديد من أجل تحقيق استقلالها الكامل كانت تنتهى عادة إلى تصفية النفوذ الإسرائيلى وذلك لأن الصدام مع القوى الاستعمارية ومقاومة ضغوطها كان يكشف موقف إسرائيل باعتبارها أداة من أدوات الاستعمار والإمبريالية . وقد حدث ذلك فى مالى وغينيا والكونغو وبرازافيل وبوروندى وغيرها . وعلى عكس ذلك كان يستفحل نفوذها فى الدول التى يتمكن منها الاستعمار وتسيطر عليها الإمبريالية . فقد كانت قواعد ارتكاز إسرائيل الرئيسية فى إفريقيا هى ليبيريا وأثيوبيا حيث كان النفوذ الأمريكى متعاظماً . وفى ساحل العاج أيضاً التى كانت دائماً من أكثر الدول الإفريقية ارتباطاً بفرنسا ونفس الأمر كذلك فى مناطق الاستيطان الأوربى مثل جنوب إفريقيا وروديسيا.

وقد كانت إسرائيل تقدم للدول الإفريقية القروض والخبرة الفنية وتدرب بعض جيوش هذه الدول وتبيعها السلاح . وكان ذلك كله يتم عادة فى إطار السياسة الاستعمارية بل وفى كثير من الأحيان من خلال الدول الاستعمارية نفسها .

ولست هنا بصدد الحديث عن تفاصيل مقاومة النشاط الإسرائيلى فى القارة فقد لايتسع المجال لذلك . ولكن كل ماأردت الإشارة إليه هو الارتباط الوثيق بين النفوذ الاستعمارى والإمبريالى فى الدول الإفريقية والوجود الإسرائيلى فيها . ولذلك كان عبد الناصر يرى أن مقاومة النفوذ الإسرائيلى فى إفريقيا أساسه مقاومة السيطرة الاستعمارية على دول إفريقيا أو ماسمى بالاستعمار الجديد . وبالتالى كان يرى ضرورة تقديم المساعدة لهذه الدول فى حدود ما تقدمه إسرائيل على الأقل حتى نستطيع مطالبة هذه الدول وقف تعاملها مع إسرائيل .

كانت مصر تريد أن تفتح مجال التعاون الاقتصادى أمامها فى إفريقيا وخاصة فى المجال التجارى . فقد عملت الثورة المصرية على تحرير اقتصادها من السيطرة البريطانية التى كانت موجودة عندما قامت الثورة وكان ذلك بسعيها الدائم لتكون تجارتها مع العالم الخارجى موزعة توزيعاً متساوياً على مجالات ثلاثة، فيكون ثلث تجارتها مع دول الكتلة الشرقية وثلثها مع الدول الغربية والثلث الأخير مع دول العالم الثالث، وكان عبد الناصر يعتقد أن هذا التوزيع ضرورى ليحفظ للاقتصاد المصرى أمنه وحريته فى التعامل ويجعله قادراً على مواجهة أى ضغوط طارئة مهما كان مصدرها .

وقد كانت الدول الإفريقية تدرك دائماً أن زيادة التعاون الاقتصادى فيما بينها هوأمر ضرورى للتقليل من مدى اعتمادها على دول الاستعمار وبالتالى لمساعدتها على تحرير اقتصادها . ولذلك نصت جميع المواثيق الإفريقية على أهمية هذا التعاون وأفردت له أبواباً كاملة، ورغم ذلك فإن تحقيق هذا التعاون كان دائماً يصطدم بصعوبات كثيرة منها ما هو متعلق بطبيعة الاقتصاد الإفريقى نفسه حيث إن معظم الدول الإفريقية تصدر الخامات وتستورد السلع الاستهلاكية، وبعض هذه الصعوبات يتعلق بأوضاع فرضها الاستعمار من قبل باحتكار الشركات الأوربية والدول الرأسمالية

لموارد الثروة فى إفريقيا . وكذلك خطوط اتصال الدول الإفريقية بالعالم الخارجى كلها تسير فى اتجاه رأسى أى بين الموانىء والعواصم الإفريقية والموانىء والعواصم الأوربية سواء كان ذلك فى خطوط المواصلات السلكية أو الملاحية والخطوط الجوية وكلها تربط إفريقيا بأوربا، أما الخطوط الجانبية أو الأفقية التى تربط الدول الإفريقية ببعضها فهى قليلة جداً ونادرة .

لقد كانت المساعدات التى قدمها جمال عبد الناصر للدول الإفريقية محدودة من ناحية قيمتها المادية بحكم قدرة مصر المحدودة فى هذا المجال وخاصة أنها كانت تحتاج هى نفسها للقروض والمساعدات اللازمة لخطتها الطموحة للتنمية . ورغم ذلك فقد كان لهذه المساعدات تأثير بالغ الخطورة فى كثير من الحالات حيث إنها كانت عادة ماتأخذ شكل الإنقاذ لمساعدة الدولة الإفريقية على الخروج من أزمة خطيرة أو تكسر احتكاراً أو حصاراً فرضته عليها الدول الاستعمارية أو شركاتها .

ويبدو أن جمال عبد الناصر كان متأثراً فى هذا الاسلوب با لمساعدات التى قدمتها له بعض دول العالم الثالث عقب حرب السويس عام ١٩٥٦ وخاصة الهند التى فتحت لمصر حساباً بالعملة الصعبة عندما جمدت بريطانيا وأمريكا أرصدتها فى الخارج . ورغم صغر هذه المبالغ إلا أنها أنقذت مصر فى ذلك الوقت من كل الأزمات الاقتصادية التى كان يمكن حدوثها نتيجة عجزها عن استيراد احتياجاتها الضرورية بعد تجميد أرصدتها فى الخارج

وسوف نعرض فيما يلى نماذج من هذه المساعدات التى قدمها عبد الناصر إلى بعض الدول الإفريقية المستقلة .

عندما تولى عبد الرشيد الشرماركى رئاسة الوزراء فى الصومال انتهج سياسة أكثر تحررية . وبدأ ينضم إلى مجموعة الدول التحررية فى الكثير من المواقف الإفريقية الأساسية مثل أزمة الكونغو وتأييد حركات التحرير. كما اتجه إلى تدعيم علاقته بمصر وانعكس هذا التحول فى سياسته على الصومال وعلى علاقة عبد الرشيد بإيطاليا والشركات الإيطالية التى كانت تحتكر تسويق محصول الموز وهو المحصول الرئيسى للصومال.

ويبدو أن هذه الشركات كانت تنفذ خطة القصد منها الضغط على رئيس الوزراء لحمله على ترك هذه السياسة الجديدة . فامتنعت عن شراء الموز الصومالى وتركت أسعاره تهبط هبوطاً شديداً كان يهدد بكارثة لايتحملها اقتصاد الصومال الضعيف. وكان هذا أسلوباً معروفاً واجهه كثير من الحكومات الإفريقية حديثة الاستقلال . وشرح عبد الرشيد مشكلته أمام جمال عبد الناصر فى مباحثات دارت بينهما أثناء زيارة رسمية للقاهرة تمت فى ذلك الوقت . ورد عبد الناصر قائلاً إن مصر سوف تدخل مشترية لمحصول الصومال من الموز الذى سوف تطرحه للاستهلاك المحلى داخل أسواقنا . وإننا سنقوم فى نفس الوقت بتصدير معظم محصولنا من الموز المصرى فلدينا القنوات والقدرة على تحقيق ذلك.

وجاء هذا العرض مفاجأة لعبد الرشيد نفسه الذى وجد فيه إنقاذاً للاقتصاد الصومالى ومخرجاً من هذه الأزمة دون أن يضطر إلى الخضوع لضغط الشركات أو تعديل سياسة اختارها . وبعد أن عبر عبد الرشيد عن امتنانه لهذا الموقف المصرى الحاسم استطرد عبد الناصر قائلاً إنه مع التزامه بما قال فإنه يعتقد أننا قد لانحتاج إلى إتمام هذه الصفقة، حيث أن مجرد الإعلان عنها سوف يجعل الشركات الإيطالية تعدل عن موقفها هذا، فهى بكل تأكيد لاتريد أن تخسر السوق الصومالية وسوف تعود غالباً لشراء الموز الصومالى .

وقد تحققت نبوءة عبد الناصر، فما أن أعلن عن هذا الاتفاق حتى اندفعت الشركات الإيطالية تريد شراء المحصول كله وألحت على حكومة الصومال حتى تلغى الصفقة المصرية ، وألغيت بالفعل هذه

الصفقة التى لم تكن فى حاجة إليها بعد أن أصبحت حكومة عبد الرشيد فى موقف أقوى أمام هذه الشركات ومن هم وراءها والعجيب أن سعر الموز الصومالى ارتفع ذاك العام عن أعوام كثيرة سابقة.

تختلف مصر عن معظم الدول النامية فى العالم بوجود جيش هائل من الخبراء والفنيين وخريجى الجامعات فى مختلف المجالات على عكس معظم الدول النامية الأخرى ومنها الدول الإفريقية التى كان الاستعمار يتركها عند الاستقلال دون أن يكون لديها الكوادر الفنية من الوطنيين لتسيير الحياة حتى يستمر اعتمادها على خبراء الدولة المستعمرة . وقد مكننا هذا الوضع من تلبية الكثير من احتياجات الدول الإفريقية من الخبراء والفنيين وقت الضرورة . فقد لجأت كثير من الدول الاستعمارية إلى سحب خبرائها وفنييها من بعض الدول الإفريقية حديثة الاستقلال كوسيلة للضغط على الحكومة الجديدة كمحاولة لفرض سياسات معينة، وفى هذه الحالات كانت مصر دائماً جاهزة لإرسال خبرائها فوراً لإنقاذ الموقف .

وقد حدث ذلك على سبيل المثال فى غينيا الاستوائية بعد الاستقلال مباشرة عندما حدث خلاف بين الحكومة الجديدة وأسبانيا التى كانت تحتل الإقليم قبل الاستقلال . وسحبت أسبانيا جميع أطبائها ولم يكن فى غينيا الاستوائية أطباء غيرهم كما سحبت خبراءها من بعض المجالات الأخرى .



الربط بين الوطنية والقومية

نجاح عبد الناصر فى تحقيق أعلى درجة من الوحدة الوطنية والقومية الشعبية خلف قيادته وبرنامجه النضالى يعود فى الأساس الى أنه استطاع ان يربط جدياً بين الوطنية والقومية وانهى أية محاولة للتفريق بينهما كما انه برفعه شعار الوحدة الوطنية – داخل مصر – لم يكن يفعل ذلك من اجل اشكالات حكمه الداخلية لكنه رفع ذلك الشعار من أجل أن تكون الوحدة الوطنية سنداً قوياً فى معاركه القومية العديدة والمتعددة الجوانب وبذلك اعطى للوحدة الوطنية داخل الاقليم – مصر – وظيفتها الاساسية فى خدمة قضايا النضال العربى بل والعالمى وهكذا استحق عبد الناصر ان يكون قائداً فذاً وعظيماً بشعبه وأمته ولكل الشعوب المناضلة من أجل الحرية والانعتاق فى العالم ..

لقد استطاع عبد الناصر تحقيق الوحدة الوطنية على مستواها الاقليمى فى مصر وعلى امتداد الوطن العربى كله .. وقاد عملية الامبريالية والصهيونية والاقليمية والرجعية ، وما كان له أن يقوم بهذه المهمة لولا استيعابه الكامل لطبيعة المرحلة التى يمر بها النضال العربى ولولا التصاقه العميق بالقوى الشعبية وبالكتلة التى لم تستطع أن تستوعبهما العديد من القوى والتنظيمات العربية التى يدعو اليوم بعضها الى الوحدة الوطنية وهى غارقة فى همومها الاقليمية وما دون الاقليمية فى بعض الأحيان . ان الجبهات والتحالفات التى تقيمها أو تدعو لها العديد من القوى فى الساحة العربية اليوم عاجزة عن تحقيق أى تقدم على طريق البرنامج الوطنى ولو فى حدود الدنيا ، لأنها لم تسلك الطريق السليمة فيما أقامته أو تدعو اليه من تحالفات وجبهات ، ولأنها في كثير من الأحيان اعتبرت الوطنية

مرادفـة للأقليميـة ولأنها وضعت نفسـها – بغير حـق – وصية على الجماهير وأغلقت أبـوابها فى وجه القاعدة الشعبية وانعزلت عنها .

إن المعيار الحقيقى للوطنيـة اليوم سياسياً هى مواجهـة الهجمة الامبريالية الصهيونيـة الرجعية الاقليمية مواجهة لكل مؤسساتها وافكارها ومناهجهـا ورموزها وفى التقدم نحو تحقيق هدف الوحدة العربية على أسـس شعبية تقدمية .. وهى اجتماعيـاً انحيازا كلياً نحو القاعـدة الشعبية من الجماهير العربية القاعدة المحرومة والمستغلة (بفتح الغين) وهى : اقتصادياً .. تخطيطاً شاملاً يقوم على قاعدة الملكية العـامة ويقـوم أيضاً على قـاعدتى الكفـاية فى الانتـاج والعدالة فى التـوزيع بين جموع الشعب العربى العامل .. انها الـوطنية القومية المتصادمـة مع الامبريالية والصهيونية والاقليميـة والرجعية ، والدعوة للوحـدة الوطنية على أساس قومى هى وحدها التى يمكن أن تشـد الجماهير العربية وتصعد نضالاتها وتوظفها فى مواجهة الهجمة الامبريالية – الصهيونية والاقليمية الرجعية فى الوقت ذاته .

واذا كان لنا أن نخلص مما تقدم الى جملة من الحقائق أكدت وتؤكد على فشل كل المحاولات الرامية الى قيام وحدات وطنية راسخة ومتينة فإنه يمكن الوصول الى أهم تلك الحقائق وهى :

أولا : غياب القيادة الثوريـة القومية المجسدة والمعبرة عن طموحات الشعب والأمـة . فلقد كان عبد الناصر يمثل تلك القيادة التى تعـدت حدودها الاقليمية الى الوطن القومى كلـه بل وامتدت بتأثيرها الى بقاع كثيرة من هذا العالم . ومن هنا فان رحيل عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ احدث فراغاً أساسياً فى القيادة الثـورية العربيـة لا يمكن انكاره أو حتى تجاهله بعد هـذه السلسلة من التجارب الفـاشلة والهزائم المتكررة .. ولم تستطع حتى اللحظة اى قيادة أن تسند ولو جزئيا هذا الفراغ مما أحدث خللاً وشرخاً كبيراً فى العلاقة بين الجماهير وبين قياداتها القـاصرة والعاجزة . وانتفت المفاعلة بين الجماهير وتلك القيادات .

ثانيا : سيـادة المنهج الاقليمى الرجعى المعتمد على الفاشيـة والقمع ومصادرة الحريات للجماهير وقواهـا الوطنيـة والقوميـة التقدميـة فى كل دعوة للـوحدة الـوطنية .. واصبحت تلك الـدعوات مجرد شعـارات تختفى وراءهـا الكثير من الممارسـات الطائفيـة والمذهبيـة والعشـائرية والقبليـة وغيـاب الديمقراطية الحقيقية فى الدعوة للوحدة الوطنية وفى الممارسة العملية لهذه الدعوة .

ثـالثا : عـدم اعطاء تلك الـدعوات للـوحدة الـوطنيـة المضامين الحقيقيـة الكاملـة من اقتصاديـة واجتماعية وثقافية .. وغياب الربط الموضوعى بين الدعوة للوحدة على اعتبار ان الوطنية ليست نقيضا للقـوميـة مما جعل تلك الـدعوات اسيرة للـواقع الاقليمى وأصبحت مجرد محاولـة من هـذا أو ذاك للخروج من الأزمة المستوحية التى يعيشها عن طـريق جر الجماهير وراء شعارات وطنية عامة بدون أية مضامين محددة .. وحتى عنـدما تكون الدعوة للـوحدة الوطنية صـادرة من قوى أو تنظيم خارج الحكم فان تلـك الدعوة انما يحاول منهـا اصحابها الهروب من المشـاكل الحقيقية التى يـواجهونها داخل تنظيماتهم لا أكثر !!.

من كتاب بعض قضايا الثورة العربية المعاصرة

★ ★ ★ ★



سينما الفكر تتراجع وسينما الخردة تتصدر

أفيال الانفتاح تدهس أغنية البسطاء

كتاب العالم الثالث يذبحون على طاولة الغرب

سينما الفكر تتراجع وسينما الخردة تتصدر

مجدى الطيب

فى أحد أيام عام ١٩٨٦، نشرت إحدى الصحف اعلانا تقول فيه «يعلن (....) عن مناقصة عامة لانتاج وتوريد عدد (٢) تنويه اعلانى عن قضية تهم الأسرة المصرية يعرضا ن بالتليفزيون المصرى، على أن تكون مدتهما دقيقة واحدة، أى بمعدل ٦٠ ثانية لكل تنويه، وعلى أن تقدم العطاءات مصحوبة بتأمين ابتدائى.. وبشيك مقبول الدفع، وفى حالة رسو العطاء تزداد قيمة التأمين.. وقد تحدد يوم الاثنين ٢٧ / ١١ / ١٩٨٦ الساعة الثانية عشرة ظهرا لفتح المظاريف.

والواقع أن هذا الإعلان الذى مر على البعض مرور الكرام، يكشف حجم التردى الذى آلت إليه أحوال السينما المصرية فى الاونة الأخيرة، فمن الواضح أن نظرة القائمين على الصناعة، من منتجين وفنيين وفنانين، تجاه الدور الذى تلعبه السينما قد تغيرت بشكل جذرى وخطير عما كانت عليه فى السابق، وعلى وجه الدقة فى أعقاب قيام ثورة ٢٣ يوليو المجيدة، فقد تعاملت الثورة، بزعامة الرئيس جمال عبدالناصر، مع الثقافة بوجه عام، والسينما على وجه الخصوص، بوصفها أداة تنوير وتثقيف، فأسست أكاديمية الفنون وشيدت مدينة السينما، لتعمير قلعة للصناعة، باستديوهاتها ومعاملها، لتضاف إلى القلعة العريقة التى شيدها الرائد الكبير طلعت حرب، ممثلة فى ستديو مصر وشركاته، ولكن هذه النظرة المتحضرة تراجعت كثيرا، بانتهاء فترة الستينيات، وتفاقمت أزمة السينما حدة بمجىء السبعينيات وطغيان السياسة الانفتاحية على كل الاصعدة، وهو ما طال السينما بالطبع، ولكن استفحل الأمر بالفعل بتولى فاروق حسنى منصب وزير الثقافة فى التسعينيات، حيث أعلنها صراحة أن الثقافة ينبغى أن تصبح سلعة، وليست أداة تنوير لا تبغى ربحا أو كسبا، وترجم هذه الدعوة عمليا فى مطالبة القائمين على شئون وزارة الثقافة أن يكفوا أيديهم عن مطالبة وزارته بالدعم المالى، وهو ما يعنى ضرورة تقديم عروض ثقافية وفنية تحقق عائدا ماديا يغطى نفقاتها.

من هنا لم يعد مثيرا للدهشة أن يتعامل البعض مع الثقافة ـ السينما التى نحن بصددها ـ بوصفها بضاعة استهلاكية، كالفراخ المجمدة والبيض والحديد الخردة، وتجاوز اخرون كل حد، فتعاملوا مع الصناعة والانتاج السينمائى عبر العطاءات والمظاريف والمناقصات، وكأننا بصدد «مقاولة» أو صفقة تجارية، لا اعتبار فيها للرسالة السامية التى يجدر بالسينما أن تحققها فى مجال بناء الإنسان وتنمية وعيه والتواصل مع همومه وواقعه.

سينما التنمية.. وسينما السلعة

انتبهت الثورة المصرية اذن للدور الذى يمكن أن تلعبه السينما، فى تغيير وعى الشعب، وتوقفت مليا عند خطورة هذه الأداة الجذابة وامكانية توظيفها كوسيلة تنوير وتثقيف وتنمية، ومن ثم انتهجت الثورة سياسة جادة، اتجهت فيها لتأميم السينما، باستديوهاتها ومعاملها، ولم يكن الهدف ـ حسبما زعم البعض ـ تهيئة المواطن للاندماج فى المجتمع الاشتراكى، الذى كانت تنشده الثورة. فحسب، بل كان الهدف الأكثر حيوية، يتمثل فى تخفيف قبضة الاجانب على مقدرات هذه الصناعة، وتنحيتهم عن إدارة شئون السينما، فاليهود وغيرهم كانوا أصحاب اليد العليا فى الإدارة، وأسماء مثل «توجو مزراحى» و«ماريو فولبى» و«فيرنتشو» و«أورفانيللى»، والموضوعات التى كانت تطرحها السينما لم

تخرج عن عدد من الافكار الساذجة، حول حياة القصور والصالونات ، ناهيك عن النهايات السعيدة التى استخدمت ــ فى الغالب ـ كمخدر يلهى الناس، ويشغلهم عن المشاكل التى كانت تعصف بهم، فالخير لابد أن ينتصر، والظالم ينبغى أن يموت، واللص يساق للسجن، والمجرم يتوب عن جرمه.. الخ

لجأت الثورة للتأميم، ومـا بين أعوام ١٩٥٧ و١٩٦٩ طبقت سياسة القطاع العام على السينما ، فأنشأت مؤسسة دعم السينما عام ١٩٥٧، لتنقذ السينما من المستوى الهابط الذى انحدرت اليه، بعدماتغلب عنصر التفاهة على الموضوعات المطروحة ، وتطور الهدف من انشاء المؤسسة فتأسست مؤسسة السينما عام ١٩٦٢، التى قامت من أجل تقديم الفيلم الناجح، ذى القيمة الفنية العالية والضخم الميزانية، والذى يعجز منتج القطاع الخاص عن تقديمه، والحقيقة أن الانصاف يقتضى أن نشير إلى الظروف التى واجهتها المؤسسة فى بدايتها، وعوقت عملها، وهو ما جعل البعض يتشكك فى نجاح سياسة القطاع العام السينمائى، ولا يمل القول إنها تجربة فاشلة، ففى واقع الأمر أن دخول الدولة ميدان الإنتاج السينمائى دفع القطاع الخاص إلى التراجع عن المضى قدما فى الإنتاج، وتوقفت عجلته، مما أدى إلى تكالب الفنيين والفنانين بأعداد غفيرة، للعمل لدى المؤسسة، فكان عليها أن تجد مكانا لجيش العاطلين هذا، وهو ما أدى إلى ظهور نوعية من الأفلام، التى يطلق عليها أفلام النوعية (ب)، وهى أعمال هابطة نافست القطاع الخاص فى رداءتها، مما جعل الأخير يتشجع ويعود لحلبة الإنتاج، فتنفست مؤسسة السينما الصعداء وبدأت على الفور فى انتهاج سياسة حكيمة، حققت خلالها هدفها التنموى والتربوى، سواء بالمشاركة فى انتاج الأفلام ذات الميزانيات الضخمة، مثل «الناصر صلاح الدين»، الذى شاركت المنتجة اسيا فى تمويله وأخرجه يوسف شاهين أو اتاحة الفرصة لجيل جديد من المخرجين، كان للقطاع العام السينمائى الفضل الأول فى تقديمهم للجمهور واحتلالهم مكانة كبيرة على الصعيد الفنى بعد ذلك.

ستة مخرجين فى عهد التنمية

يبقى لمؤسسة السينما الفضل فى تقديم ستة مخرجين، بدأوا خطواتهم الأولى فى أعمال من إنتاج الدولة، ويأتى على رأس هؤلاء: حسين كمال (المستحيل)، خليل شوقى (الجبل)، فاروق عجرمة (العنب المر)، نور الدمرداش (ثمن الحرية)، جلال الشرقاوى (أرملة وثلاث بنات) وعبدالرحمن الخميسى (الجزاء).

ولم يتوقف الانجاز الكبير عند هذه النقطة، وكان يكفى المؤسسة تلك الخطوة العظيمة، ولكنها اقتحمت افاقا رحبة، بتقديم نوعية أخرى من الأفلام ، مازلنا نعيش على أريجها حتى اليوم، سواء ما تبنى منها الهدف الوحدوى، كـ «ثورة اليمن» لعاطف سالم، والذى صور بالكامل فى اليمن، أو تلك التى باتت علامات فى تاريخ السينما المصرية مثل: «القاهرة ٣٠» لصلاح أبوسيف، الذى قدم ثلاثة وجوه جديدة (حمدى أحمد، أحمد توفيق، وعبدالعزيز مخيون) و«السمان والخريف» لحسام الدين مصطفى، «الزوجة الثانية» لصلاح أبوسيف «القضية ٦٨» لصلاح أبوسيف ، «يوميات نائب فى الارياف»، «الأرض»، «ميرامار» وغيرها.

سينما الفراخ المجمدة !

بتوقف وانقطاع هذا العهد الثورى ، وتصفية كل منجز تقدمى وظهور جماعة انتهازية تحرث الأرض لتكريس سياسة الانفتاح، على الأصعدة كافة، كان لابد للسينما أن تتأثر بما يجرى على أرض الواقع، وهو ما تجلى بشكل صارخ فى بزوغ نجم نفر من الانفتاحيين، استثمروا السينما لتحقيق مآرب خاصة، ولم يكتفوا بذلك بل راحوا يدمرون الصناعة باهمالهم المتعمد لادواتها وبنيتها الأساسية، فانهارت الاستديوهات وتدهور حال المعامل، بعد الغاء مؤسسة السينما، وتقلص عدد صالات العرض، ففى الوقت الذى تم فيه تعديل القانون الذى كان يحظر بناء عمارة سكنية على دار

العـرض السينمائى، واجاز القـانـون الجديد ذلك، لم يتحمس مستثمـر «انفتـاحى» واحد لبنـاء دار العرض ،فيما تنـافسوا جميعـا على استثمار أموالهم فى مشـاريع الدواجن والبيض والفـراخ المجمدة والميـاه الغازيـة، وصدق من قـال عنهم: «انهم مستثمرون يـؤمنون «بـالكازوزة» أكثـر من ايمانهم بالدور الذى يلعبه الفن»!

تراجع دور الدولة، وحتى المؤسسات القليلة التـى بقيت على الساحة، لتخزى الاعين، ظلت شاهدة على العجز والاهمال، مثلما تجلى ذلك، وبقـوة، فى غرفة صنـاعة السينما، التى بـاتت تضم جماعة من المنتجين والموزعين، لا حول لهم ولا قوة، تداخلهم الرغبـة فى امتلاك مقدرات السينما وامتلاك رقاب.. وأفـلام العباد، فيما هم عـاجزون عن حمايـة هذه الصنـاعة من سيطـرة الموزع الجاثم فى قبرص أو السعوديـة، القادر على فرض ذوقـه السقيم وثقافته الهابطـة، فتارة يهدد بالتـوقف عن شراء الأفلام المصرية وأخرى يسعى لتحجيم أجور نجومها، ناهيـك عن محاولة فرض أفكاره الدخيلة، ووسط هذا كله لا وجود للدولة وأجهزتها فى مواجهـة هذا المخطط الذى يستهدف تدمير السينما المصرية وسحب البساط من تحت أقدامها.

الثقافة سلعة !

كيف تتحرك الدولـة، بأى حق نطالبها بالتـدخل ووزيرها ومسئولها الأول عن الثقـافة يؤمن بأن الثقافة سلعة؟

إذن من الطبيعى أن يتدخل الموزع القابع فى قبرص أو السعودية ، وتزداد سطوته وسقطاته بحيث يتقـدم لشراء استديـوهـات ومعامل السينما المصريـة ، فهـو يعلم أن الاتجاه للتربح هو الطـاغى ،ان الثقـافـة وسيلـة وليست غـايـة . كما أنـه من الطبيعى أن تختفى السينما «التنمـويـة» التى سـادت الستينيات لتطل سينما أخرى، منتجوها هم تجارالخيـش والخردة والادوات الكهربائية، وفى ظل هذا المناخ المتردى حاول عدد من السينمائيين الشبان أن يصنعوا سينما بديلة جديدة ، تتمرد على الوضـع الـراهن، فظهر جيل يضم بين ابنـائه : على عبدالخالق، محمـد راضى، غالب شعث، وأحمد متـولى ثم تلاهـم تيار الواقعية الجديدة ، الذى ضم محمد خان، عاطف الطيب، خيرى بشارة وأعقبهم جيل: داود عبدالسيد وبشير الـديك ورأفت الميهى وشريف عرفة ومحمـد النجار ومنير راضـى ويسرى نصر الله، ولكن باتت محاولات أولئك المخرجين فى التغيير واستعادة سينما الواقع، سينما الارتباط بأفكار الثورة وحلم التغيير من دون مبـاشرة أو خطابـة، مجرد محاولات يائسـة فى ظـل مناخ لا يؤمـن بالتغيير ولا يستهدف التنمية، ويحتفى كثيرا بأفـلام شاكلة: «عضة كلب»، و«سطوحى فـوق الشجرة»، و«غريب ولد عجيب»، و«مسعود سعيد ليه»، و«تجيبها كـده تجيلها كده هى كده»، و«القفل»، «سمورة والبنت الأمـورة» و«الانتقـام لـرجب» و«التريـلا»، «الفـول صديقـى» ، «ناس هـايصـة ونـاس لايصـة»، «المنحوس»، «شقـاوة فى السبعين»، «رحلة المشـاغبين»، «باب النصر»، «أربـاب سوابق»، «عـريس فى اليانصيب»، «عليش دخل الجيش»، و«فتوات السلخانة»!

هذه عينة من سينما الثمانينيـات، أو سينما السلعة الاستهلاكية، التى حمل لـواءها مخرجو نفس الأفـلام، فكان حـريا أن تتردى أحـوال السينما المصرية وتعجـز عن ممـارسة الـدور القيادى الـذى يستهدف تربيـة وجدان هذا الشعب ومخاطبة عقلـه وحواسه بدلا من تغييبـه مثلما هو حادث الان فى ظل طغيان الهدف التجارى على المؤسسات الثقافية المختلفة.

(المراجع) قصة السينما فى مصرتأليف سعد الدين توفيق



أفيال الانفتاح تدهس أغنية البسطاء

ليس جديداً القول إن ارتباط جمال عبد الناصر بـأحلام وهموم البسطاء كان سمة هذا العصر، ولذا كـان طبيعيا أن تعبر الأغنيـة عن تلك الهمـوم فى صيـاغـة وطنية عبرت عن حـركـة المجتمع بمختلف طوائفه.

لكن أين هى الأغنية الوطنية من ذلك الذى يحدث على الساحة اليوم من أحداث سياسية واجتماعية واقتصادية؟

الشاعـر سيد حجاب: «بمقدورنـا أن نقول إننا كنا نعيش الحلم القـومى بمعناه الصحيح، فى عصر عبدالناصر، حيث ارتبط شعراء كبار بهذا الحلم على رأسهم صـلاح جاهين، ومرسى جميل عزيز، كما عبرت عنه ألحان كمال الطويل ومحمود الشريف، فكانوا أصدق تعبير عن هموم شعبهم، فكان طبيعياً أن تحتضن الجماهير تلك الأغانى التى جسدت الحلم بمعناه الصحيح.

غير أن الآية انقلبت ببـداية الانفتـاح الاستهلاكى، حيث تحول المصريـون إلى جزر منعـزلة، وتفتت أحلامهم العامة إلى أحلام خاصة بكل فـرد على حدة، وأصبح الإطار القومى باهتاً وتحولت الأغنيات إلى أدوات دعائية تعكس وجهة نظر النظام، وليست انتمائية تعبر عن طموحات الجماهير وآلامهم.

لذا أتصـور أننا فى حاجـة إلى «زلزال» يهز مشاعـرنا ونفـوسنا، وهو مـاسيحدث حتماً إذا ماتـولد المشروع القومى الذى يجعلنا نلتف حوله».

وفى تعليق صريح حول الوضع الراهن للأغنية الوطنية يؤكد الإذاعى الكبير جلال معوض قائلاً:

دائما ماكـانت تغير الأغنية المصريـة مسار التـاريخ العربى، ففى الكثير من الاحيـان كان لـلأغنية دورها المعطـاء وتأثيرها من حيـث فتح مجالات أمام المصرى العـربى، فإذا عدنـا لفترة الخمسينيات سنجد أن الأغنية كان لها لونها المعبر عن مشاعر التحرر، ومحاولة الدخول فى مرحلة تحقيق الآمال الشاملـة، وازعم أن مشاعـر التحرر موجـودة، ولكن أى نوع من التحـرر هذا؟ ذلك هـو السؤال (!) فهناك بطالة ووضـع اقتصادى متردٍ، دفع نصف الشعب المصرى إلى حالة من الانهيار، وهذا وحده كفيل بأن يجعل للأغنية طعما اخر أكثر تعبيراً عن ظروفنا، فلكل عهد أغانيه المعبرة عن ظروف شعبه، ولكن المهم ألا تنكسر سمات هذه الأغنية فـا لمزج بين مشاعرنا وكلمتنا قـد يخلق حياة أفضل نعيشـها دون أن نذوب فى ثقافات شعوب أخرى بعيدة عنا.

الشعب يقتل نفسه بالأغانى الهابطة.

الشاعر الغنائى جمال بخيت يطرح وجهة نظر مغايرة فى القضية حين يقول:

الأغنية ليست ظـاهرة منفصلة، أو كـلاماً منفصلاً عن السيـاسة والاقتصاد، لكنهـا نتاج مجتمع، وليس حركة مجتمع، فنحن نصنع اغنيتنـا بايدينا، ووقت أن سادت الأغنية الهابطـة فى شارع محمد على فى بدايـة القرن، كان ذلك انعكـاسا لما يحدث فى تلك الفترة، وعندمـا قامت ثورة ١٩١٩ جـاء سيد درويش ليعبر عن انشعب الـذى احتفى بهذه الثورة، فغنـى لهم وبهم، وعندمـا انتهت هذه الصحـوة عادت الأغانى لصورتها الترفيهية القديمة.

وبمجيء ثورة يوليو استعـادت الأغنية الوطنية حماسـها ودورها، وبـالفعل طرحت مشاريع البناء والتأميم وغيرهما.

بنفس القياس يمكن النظـر إلى الأغانى المنتمية لأحلام البسطـاء وآمالهم، فا لمسألة ليست مـرتبطة

بأصحاب الأغنية، مثل المؤدى - المطرب - أو الملحن أو صاحب الكلمات فهؤلاء موجودون، والمعاناة قائمة بالفعل، ولكن الأغنية المعبرة عن الجانبين غير موجودة، بالصورة المرجوة فالملامح غائمة، والشعب يبدو كما لو كان يرفض أن يذكره أحد بمعاناته، بل يحاول أن ينساها بأغانٍ ليس لها علاقة بآدميته، ولعله يقتل نفسه بهذا الاتجاه كنوع من الهروب من المسئولية.

رأس المال يهاجم كل نبض قومى المغنى عدلى فخرى يدافع عن الأغنية الوطنية بقوله:

«من قال إن الأغنية الوطنية انتهت؟.. هى موجودة بداخل كل واحد منا، ولكن ليس أمامنا مايجعلنا نحولها إلى أداة تهييج وتثوير، بحيث تصرخ وتعبر عن وجودها الفعلى، ولعل الخطأ فى ذلك يرجع إلى تخلف القوى الوطنية، التى تعتقد أن الخطاب السياسى يصنع جمهوراً متحالفاً، ولكن الحقيقة أن هذا النوع من الخطاب لايصنع سوى طبقة من الجمهور المثقف فقط يتصور أن الفن بعيد عن الشعور بالانتماء، وليس له الحق أن يعبر عن مطالب الشعب، مادامـوا قد احتكروا لأنفسهم حق التعبير عن هذه المطالب.

الأمر المؤكد أن جيلنا مازال ينبض بأحلام البسطاء، ويسعى لتحقيقها من خلال كلمة فى أغنية أو لحن فى أهزوجة، ولكن رأس المال الشرس يهاجم بضراوة كل نبض قومى صغير، واستحالت العملية إلى تجارة بحتة، خضعت لها عناصر الأغنية فانكسرت وتحولت إلى أغنية اصطلح على تسميتها الأغنية الشبابية، وهى أغنية هابطه تخاطب جمهوراً لايتعدى الـ ٥٠٠ شاب، وفى الأغلب العام غير مدركين لحركة وطنهم».

ساد الافتعال فتشابهت الأغنيات، الشاعر الشاب أمين فؤاد حداد ينطلق من نقطة الأغنية الهابطة التى توقف عندها عدلى فخرى ويقول:

الحقيقة أن الأغنية الحالية، أو مايطلق عليها الأغانى الهابطة، تعبر فى بعضها عن أحلام بسيطة لإنسان مصرى يجد فى البحث عن لقمة العيش، ولكن المشكلة تقع فى عملية التعبير عن مشاعر الشعب بأكمله، فلا يوجد الآن المغنى الذى يسمعه الجميع، بل لكل مغنٍ شريحة معينة من الناس.

من هنا فأنا أرفض تخصيص التسمية فى الأغنية، وكأن نقول «أغنية ناصرية» أو غيرها، ولكن تصنيف الأغنية يتوقف على شعور الفرد بالانتماء أو التمرد أو الفقر أو غير ذلك من مشاعر حية، يمكن تجسيدها فى كلمة أو لحن أو أداء، فالاغنية ليست ثابتة، بل متغيرة بتغير الظروف، وعلينا اليوم أن نبحث عن الأغنية الصادقة فقط، وهو مالانراه وسط الافتعال الذى يسود معظم الكتابات، مما أدى إلى تشابه جميع الأغنيات..

★ ★ ★ ★

كتاب العالم الثالث يذبحون على طاولة الغرب

هل يسقط اتحاد الكتاب الأفرو آسيوى صريعاً على مذبح مايسمى بالعالم الجديد ؟! خاصة بعد تفجر العديد من المشاكل الداخلية والتخبط فى تحديد اتجاهه وبالتالى المهام الموكلة اليه.

ولقد برز اتحاد الكتاب الأفرو آسيوى على الصعيد الثقافى فى الخمسينيات والستينيات من القاهرة موئل حركة التحرر الوطنى آنذاك. فقام بدور واضح من التقارب بين مبدعى القارتين بالاضافة الى التقارب المعرفى والثقافى بين الشعوب فى مواجهة طغيان الثقافة الغربية بجانبها الاستعمارى.

وفى السنوات الاخيرة وبعد تحول مركز الاستقطاب من الصراع بين المعسكرين الروسى والامريكى الى التنسيق الشديد بينهما تحت إمرة امريكا، وقع الاتحاد فى مأزق ذى حدين فأولاً ماذا يفعل ؟

وثانيا التمويل .. وفى المؤتمر الأخير الذى عقد فى القاهرة منذ عامين أكد لطفى الخولى الأمين العام للاتحاد أنه اتصل ببعض المؤسسات العالمية (يقصد الغربية) وببعض الشخصيات التى لها وزن (لم يحددها) من أجل الخروج من المأزق المالى ، فقد تراجع الدعم الروسى من ٢٠٠ ألف دولار – أيام الاتحاد السوفيتى – الى ٢٥ ألف دولار وتقلصت المساهمات المالية لعديد من الدول المشاركة .

وتصل الذروة الى اقتراح أحد الاعضاء أيضا فى المؤتمر الأخير أن تقوم بعض المؤسسات الأمريكية بتمويل نفقات الاتحاد ، ولم يلق هذا الاقتراح الفج ترحيباً من الاعضاء الذين مازال يعلق بذاكرتهم بعض البديهات التى قام عليها الاتحاد ، فهم يتذكرون الأيام الخوالى التى كان فيها يناهض الهيمنة الثقافية الغربية وخاصة الامريكية على شعوب العالم الثالث، كذلك لم ينسوا أن أمريكا جمدت تمويلها لليونسكو عندما تبنت مواقف معتدلة وليست متميزة لصالح الشعوب الفقيرة .

وطالب عضو آخر بأن يصبح الاتحاد له عضوية دائمة فى الأمم المتحدة . وإن كان أشبه بالحلم ولكن السيد العضو يؤكد أن هذه فرصة لكى يسمع العالم – طبعاً لم يقل الغربى – صوت الفكر المعاصر فى عالمنا الثالث .

وطالب الفريد فرج بأن يكون فى عضويةالاتحاد مثقفو ومبدعو الولايات المتحدة الامريكية واوروبا لمناقشة القضايا التى تهم العالم أجمع ! ويضيف " أتوكا أكاى " رئيس اتحاد كتاب أفريقيا مطلب آخر وهو ضرورة تعرف مبدعى العالم الأول – الغرب – على مبدعى العالم الثالث ، من خلال تنشيط حركة الترجمة خاصة بعد أن منحونا جائزة نوبل مرتين (نجيب محفوظ ، وول سونيكا) !

ولكننا نتساءل : هل يقبل اتحاد كتاب اوروبا أو امريكا فى عضويته كتاب العالم الثالث ، واذا كان المطلوب هو التقارب بين المبدعين ، فليكن من خلال الاتحادات وليس بسياسة التذويب التى يبدو أنها مقصودة .!

ولا نعرف لماذا يفكر السادة – مسئولو الاتحاد – أن يكون دعمه من خلال المبدعين والجمعيات الثقافية والتنظيمات الشعبية فى القارتين ، بعيدا عن توجهات وقيود الأنظمة ، وحتى يحافظ على استقلاله و إلا سوف يغرق فى مستنقع النظام الامريكى الأوروبى الجديد !

سعيد شعيب

★★★★


دراسات
ناصرية

عبد الناصر والشباب

بقلم :
عبد الغفار شكر

يشكل الشباب فى مصر غالبية السكان ولاتقل نسبتهم فى التعداد العام عن ٦٥٪ ،والشباب المصرى يمثل غالبية القوى المنتجة فى مجالات الزراعة والصناعة والخدمات، وبصفة خاصة العمالة الفنية والماهرة، وهم عماد القطاع المتعلم فى مصر وخاصة العاملين بالدولة والمهنيين والفنانين والأدباء.

والشباب المصرى كان ولا يزال القاعدة الأساسية لمختلف التيارات السياسية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، وله تاريخه المشهود فى النضال الوطنى المعادى للاستعمار من أجل الديمقراطية والتقدم والعدل الاجتماعى .. من هنا فإن الشباب كان ولايزال قوة اجتماعية مهمة تؤثر بشدة على أوضاع البلاد فتحقق لها الاستقرار من خلال مساهمته فى عمليات البناء الاجتماعى أو يشيع فيها القلق والاضطراب، إذا كان موضع إهمال وتعرض مستقبله للاهتزاز.

وكما نلاحظ اليوم فإن الشباب المصرى يعانى أزمة حادة ويواجه مستقبلا غامضا سواء كان ذلك بالنسبة لأوضاع المجتمع بشكل عام أو كان متصلا بالمستقبل الشخصى للشاب نفسه .

لقد أهمل الحكم تنمية المجتمع فضعفت فرص العمل أمام الشباب، وتغاضى الحكم عن مراعاة العدالة الاجتماعية فى توزيع الدخل القومى، فضعفت فرص الشباب من أبناء الكادحين وهم أغلبية المجتمع فى التعليم، وساير الحكم اتجاه صندوق النقد الدولى فى الحد من دور الدولة الاجتماعى، فتوقف بناء المساكن الاقتصادية ولم يعد الشباب الراغب فى تكوين أسرة قادرا على تدبير سكن بإيجار ملائم، واتسعت الفوارق بين الطبقات نتيجة التوجه الرأسمالى للحكم. هكذا ينشأ الشاب فى مصر الآن فلايضمن حقه فى التعليم أو يجد فرصة للعمل أو يضمن مسكنا ملائما، ولهذا لم يكن غريبا أن يصبح الشباب قاعدة النشاط السياسى القائم على العنف أو أن يعانى من الاغتراب فيهجر بلاده على نطاق واسع.

وعلى العكس من هذا كان موقف جمال عبد الناصر وثورة ٢٣ يوليو من الشباب وقضاياه ، فقد كان الشباب أحد مشاغل جمال عبد الناصر الأساسية باعتبارهم عماد المستقبل وضمان استمرار الثورة، وكثيرا ماكان يطرح قضايا الشباب فى أحاديثه للشعب، وعندما رشح نفسه لرئاسة الجمهورية عام ١٩٦٥ تضمن برنامجه الانتخابى مهمة أساسية حول إعداد جيل جديد من القيادات (إن المهمة الأساسية التى يجب أن نضعها نصب أعيننا فى المرحلة القادمة هى أن نمهد الطريق لجيل جديد يقود الثورة فى جميع مجالاتها السياسية والاقتصادية والفكرية ولسنا نستطيع القول بأن جيلنا قد أدى واجبه إلا إذا كنا نستطيع قبل كل المنجزات وبعدها أن نطمئن إلى استمرار التقدم، وإلا كان كل ما حققناه مهددا بأن يتحول مهما كانت روعته إلى ثورة لمعت ثم انطفأت، إلى بداية تقدمت ثم توقفت . إن الأمل الحقيقى هو استمرار النضال ويتأكد الاستمرار حين يكون هناك فى كل وقت جيل جديد على أتم الاستعداد للقيادة ولحمل الأمانة فى مواصلته التقدم بها، أكثر وعيا من جيل سبق، أكثر صلابة من جيل سبق، أكثر طموحا من جيل سبق).

وبعد رحيل جمال عبد الناصر ونجاح قوى الثورة المضادة فى الاستيلاء على الحكم، كان الشباب الذى حظى باهتمام الثورة هو القوة الأساسية المدافعة عن توجهاتها الاجتماعية وخطها الوطنى،

وأصبح هؤلاء الشباب عماد الحركة الناصرية خصوصا والحركة الوطنية التقدمية عموما.

وهم يمثلون الآن إحدى ركائز الدفاع عن استقلال مصر الوطنى وعن العدالة الاجتماعية لكل الكادحين.

ويكفينا هنا أن نستعيد بعض الحقائق والأرقام عن مدى اهتمام ثورة ٢٣ يوليو وقائدها جمال عبد الناصر بالشباب وأن نركزعلى المجالات التى تتصل بالشباب مباشرة، وسوف نعرض فى كل منها ماتحقق من تقدم انعكس على الشباب ومستقبله، وكما ذكرنا من قبل فإن الشباب يضمن مستقبله عندما يكون له دور بناء فى المجتمع أى من خلال تمتعه بحقوقه السياسية، وذلك عندما تتوفر له فرص التعليم والعمل والسكن وممارسة النشاط الرياضى والثقافى والاجتماعى.. فماذا تحقق فى هذه المجالات تحت راية جمال عبد الناصر؟

الحقوق السياسية والديمقراطية

حقق الشباب قدرا مهماً من المكاسب الديمقراطية فى ظل ثورة ٢٣ يوليو فى مقدمتها:

- حق إنشاء وإدارة مراكز الشباب بالمدن والقرى.
- حق تشكيل الاتحادات الطلابية بالجامعات والمعاهد العليا والمدارس الثانوية واشتغالها بالقضايا الوطنية.
- تخفيض حق التصويت فى الانتخابات العامة إلى ١٨ سنة بدلا من ٢١ سنة.
- تكوين منظمة الشباب الاشتراكى كتنظيم سياسى يمارس من خلاله الشباب دورا فى العمل العام من سن ١٤ سنة.

التعليم

هو أكثر المجالات تعبيرا عن حقيقة وضع الشباب فى المجتمع وما يقدمه له النظام من فرص لضمان مستقبله، وفى هذا الصدد فإنه يكفينا أن نستعرض بالأرقام تطور التعليم فى مختلف مراحله حتى عام ١٩٦٩.

● التعليم الابتدائى:

ارتفع عدد الفصول من ٣٩٩٠٥ عام ٥٣ إلى ٨٥٤٧٣ عام ١٩٦٩ كما ارتفع عدد التلاميذ من ٢٠٢ر٥٤٠ر١ عام ٥٣ إلى ٧٥٠ر٦١٨ر٣ عام ١٩٦٩.

● التعليم الإعدادى:

ارتفع عدد الفصول من ٩٥٧١ عام ١٩٥٣ إلى ٢١٠٢١ عام ١٩٦٩ كما ارتفع عدد التلاميذ من ٥٧٤ر٣٤٨ عام ٥٣ إلى ٨٩١ر٧٩٣عام ١٩٦٩.

● التعليم الثانوى العام:

ارتفع عدد الفصول من ٤٩٧١ عام ١٩٥٣ إلى ٧٥٥٧ عام ١٩٦٩،كما ارتفع عدد التلاميذ من ٧٨٩ر١٨١ عام ٥٣ إلى ٣٣٩ر٢٧٦ عام ١٩٦٩.

● التعليم الثانوى الفنى:

ارتفع عدد الفصول من ١٢٦٧ عام ١٩٥٣ إلى ٥٨٨٠ عام ١٩٦٩، كما ارتفع عدد التلاميذ من ٣٦٦ر٣٢ عام ١٩٥٣ إلى ٠٥٤ر١٩٧ عام ١٩٦٩.

●معاهد إعداد الفنيين:

ارتفع عدد الطلاب من ٢٥٨٢ عام ٦٣ إلى ١٣٦٤٣ عام ١٩٦٩.

● المعاهد العليا:

ارتفع عدد الطلاب من ١١٨٥٧عام ١٩٥٩ إلى ٣٢١١٩ عام ١٩٦٩.

●طلاب الجامعات:

بلغ عدد طلاب الجامعات ٢٥٤ر١٦٩ والكليات الأزهرية ٢٩٨٢٠ عام ١٩٧٠، أما عدد خريجي الجامعات فقد بلغ عدد الأحياء منهم حتى عام ١٩٥١ حوالى ٧٢ ألف خريج، أما فى عام ١٩٧٧ فقد وصل عدد خريجى التعليم العالى ٨٤٢ر٧٣٦ كان منهم على قيد الحياة ١٥٤ر٦٨٧ خريجاً وخريجة، أى أن الثورة أتاحت فرصة التعليم العالى لأكثر من نصف مليون مواطن ومواطنة التحقوا بالتعليم فى حياة جمال عبد الناصر، ومما يضاعف من أهمية التطور فى التعليم العام والجامعى فى مصر أن معظم الذين أتيحت لهم فرصة التعليم كانوا من أبناء الأغلبية الكادحة والطبقات الفقيرة، وكان هذا من أهم التطورات التى شهدها المجتمع المصرى فى القرن العشرين، ولعبت مجانية التعليم الدور الأساسى فى هذا التطور، ويهمنا أن نوضح بعض النتائج المترتبة على هذا التطور من خلال المقارنة بين نتائج التعداد العام للسكان سنة ١٩٦٠ والتعداد العام للسكان سنة ١٩٧٦:

- حدث تغيير هائل فى نسبة الحاصلين على مؤهلات أقل من العليا حيث بلغت نسبتهم ٢ر١٦٪ من السكان بينما كانوا ٢ر٦ ٪ فقط فى تعداد ١٩٦٠ .

- ارتفعت نسبة الحاصلين على مؤهلات عليا إلى ٢ر٢٪ من جملة السكان بينما كانوا ٨ر٪ فقط. .

- ارتفعت نسبة الإناث الحاصلات على مؤهلات أقل من العليا إلى ٦ر١١٪ بينما كانت ٤ر٣٪ فقط، أى بلغت أربع أضعاف النسبة السابقة، أما الحاصلات على مؤهلات عليا فقد بلغن ٢ر١٪ مقابل ٢ر٪ أى بلغت ستة أضعاف النسبة السابقة وهذا يعكس ارتفاع مكانة المرأة فى المجتمع فى هذه المرحلة.

العمل

شهدت هذه الفترة تطورا كبيرا فى مجال العمل وتشغيل الشباب فى مختلف القطاعات نتيجة لمشروعات التنمية والتوسع فى التصنيع واستصلاح الأراضى:

- ارتفع إجمالى العمالة فى مصر من ٩٠٠ر٥١١ر٦ عام ١٩٦٠ إلى ٧٠٠ر٢٧٤ر٨ عام ١٩٦٩.

- ارتفع عدد العاملين فى قطاع الصناعة من ٦٠٠ر٦٢٥ عام ١٩٦٠ إلى ١٠٠ر٩١٦ عام ١٩٦٩.

- ارتفع عدد العاملين فى قطاع الزراعة من ٠٠٠ر٦٠٠ر٣ عام ١٩٦٠ إلى ٣٠٠ر٠٤٨ر٤ عام ١٩٦٩.

ومن هذه الأرقام يتضح أن نسبة النمو فى العمالة بالقطاع العام كانت أسرع من غيرها حيث بلغت حوالى ٥٠٪ تقريبا بينما كانت نسبة النمو فى قطاع الزراعة أقل من ١٥٪، ويتفق هذا مع طبيعة الاتجاه نحو التصنيع فى هذه الفترة .

الأسعار والأجور والدخول

شهدت فترة الستينات كما سبق أن أوضحنا إعادة توزيع الثروة الوطنية بما يحقق العدالة الاجتماعية سواء بتوزيع أراضى كبار الملاك على صغار الفلاحين أو نقل ملكية المنشآت الصناعية والبنوك وشركات التأمين إلى الملكية العامة واستثمار عائدها فى التوسع فى الخدمات وتنفيذ مشروعات جديدة مما خلق فرص عمل كبيرة أمام الشباب وفى نفس الوقت فإن تحسين دخول فئات واسعة من

العاملين والفلاحين فى هذه الفترة، تم فى إطار استقرار نسبى فى أسعار السلع والخدمات مما يؤكد أن تحسناً حقيقيا فى معيشة المواطنين قد حدث خلال هذه الفترة، والأرقام التالية توضح هذه الحقائق:

ـ زادت المتوسطات السنوية للأرقام القياسية لأسعار المستهلكين فى المدن خلال عشر سنوات من ١٩٦٦ إلى ١٩٦٩ على النحو التالى:

ـ الطعام والشراب من ١٠٠ إلى ١١٧.

ـ السكن ومستلزماته من ١٠٠ إلى ٧ر١٠٨.

ـ الملابس والأقمشة من ١٠٠ إلى ٥ر١٠١.

ـ الأثاث والسلع المعمرة من ١٠٠ إلى ٨ر١٩٦.

ـ نفقات طبية وثقافية واجتماعية من ١٠٠ إلى ٢ر١١٣.

ـ وفى نفس الوقت فإن الدولة أوفت بالتزاماتها تجاه العاملين بالحكومة والقطاع العام بمنحهم علاوات دورية سنوية متوسطها ١٠٪ من المرتب، كما رفعت الحد الأدنى للمرتبات وأصدرت قرارات الترقية بالرسوب الوظيفى لمنع بقاء العاملين مددا طويلة فى درجة واحدة.

والمقارنة بين تطور أسعار السلع والخدمات وتطور الأجور والدخول خلال هذه الفترة يؤكد التحسن النسبى فى مستوى معيشة المواطنين حيث يتضح أن الزيادة فى الأجور والدخول كانت أكبر من الزيادة فى أسعار السلع والخدمات فى نفس الفترة، يضاف إلى هذا أن الدولة توسعت فى تقديم الخدمات التعليمية والصحية بالمجان، وقدمت الخدمات الثقافية والإعلامية وخدمات النقل بأسعار مدعمة تتناسب مع مستوى الدخول وحافظت على ثبات هذه الأسعار طوال فترة الستينات .

الإسكان

شهدت هذه الفترة طفرة هائلة فى الاستثمارات الحكومية فى مجال الإسكان، خاصة الإسكان الاقتصادى والمتوسط، ولم تتوقف استثمارات القطاع الخاص خلال هذه الفترة، ونتيجة لذلك فإنه كان من المتاح للأسرة الجديدة والشابة أن تحصل على وحدات سكنية بإيجار شهرى مناسب يتراوح بين ٤ ـ ١٠ جنيهات، وتبلغ جملة الاستثمارات الحكومية فى هذه الفترة :

ـــ مشروعات الإسكان الاقتصادى من عام ٦٤ إلى عام ٧١ مبلغ ٠٠٠ر٢٩٠ر٣٦ جنيه لبناء ٥٤٤١٣ وحدة سكنية .

ـ مشروعات الإسكان المتوسط من عام ٦٤ إلى عام ٧١ مبلغ ٠٠٠ر٣٤٦ر٣٨ جنيه لبناء ١٨٣٣٦ وحدة سكنية.

ـ مشروعات الإسكان الريفى من عام ١٩٦٤ إلى عام ١٩٧١ مبلغ ٠٠٠ر٣٥٨ر٣٠ جنيه لبناء ٣٤٣٧١ وحدة سكنية.

أى أن الحكومة أنفقت مبالغ لاتقل عن ١٠٥ ملايين جنيه لبناء أكثر من ١٠٠ ألف وحدة سكنية.

هذا بالإضافة إلى أن استثمارات القطاع الخاص كانت تتوجه جانبا كبيرا إلى الإسكان المتوسط، مما ساعد على انفراج أزمة الإسكان نسبيا فى هذه الفترة .

الخدمات الشبابية والرياضية

وجهت الدولة عنايتها إلى قطاع الخدمات الشبابية والرياضية فتضمنت الخطة الخمسية الأولى

مشروعات استثمارية لبناء منشآت شبابية ورياضية من أهمها استاد القاهرة واستاد رياضى بكل عاصمة محافظة، وساحة شعبية بكل مدينة ، وتم تعميم إنشاء مراكز الشباب با لمدن والقرى، وقدمت إعانات انشائية لمواطنى هذه القرى لبناء مقرات نموذجية لهذه المراكز وصرفت إعانات مالية للأندية الرياضية الكبيرة وأندية الأقاليم لبناء ملاعب خاصة بها، والصرف على مختلف الأنشطة الرياضية بها.

وفى عام ١٩٦٩ أصبح عدد الفرق الرياضية واللاعبين بهذه المنشآت الرياضية والشبابية.!

أندية ممتازة درجة أولى ٧١٢ فريقاً للكبار والأشبال، تضم ١١٨٣٨ لاعبا يستخدمون ٢٧٣ ملعبا.

- أندية رياضية عامة ٣٤٥٤ فريقاً للكبار والأشبال تضم ٤٢٤٩٤ لاعبا يستخدمون ٦٤٠ ملعبا.
- أندية رياضية خاصة ٨٧٢ فريقاً للكبار والأشبال تضم ٧٨٨١ لاعبا يستخدمون ١٢٦ ملعبا .
- أندية رياضية تابعة لشركات قطاع عام ٩٨٧ فريقاً للكبار والأشبال تضم ١٤٢٦٧ لاعبا يستخدمون ٣٦٣ ملعبا .
- مراكز شباب المحافظات ٨١٤ فريقاً للكبار والأشبال تضم ١١٠٣٧ لاعبا يستخدمون ٢٣٤ ملعبا.
- مراكز شباب المدن ٢٠٣٦ فريقاً للأشبال والكبار تضم ٢٧١٩٦ لاعبا يستخدمون ٤٢٧ ملعبا.
- مراكز شباب القرى ١٧٠٩٩ فريقاً للأشبال والكبار تضم ١٤٥٠٤٨ لاعباً يستخدمون ١٨٣٢ ملعباً . كما بلغ عدد الفرق الرياضية فى مراحل التعليم المختلفة ١٠٤٣٥ فريقاً تضم ١١٢٨٩٢ لاعباً ولاعبة يستخدمون ٤٠٠٢ ملعب.

مجتمع الآمال الكبار

هذه بالأرقام وقائع أساسية حول وضع الشباب المصرى فى فترة الستينات ودوره فى المجتمع والتى تؤكد أنه كان موضع اهتمام الثورة فى فترة مهمة من تطورها وتبلور مشروعها القومى تحت قيادة جمال عبد الناصر . هكذا نستطيع أن نستخلص نتيجة مهمةمن هذه الحقائق وهى أن وضع الشباب ومستقبله متوقف على وضع المجتمع واتجاهات تطوره، وأن مكانة الشباب قد تضاعفت فى مصر فى الستينات من خلال التوجهات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى هذه الفترة حيث كانت مصر منهمكة بقيادة جمال عبد الناصر فى بناء مجتمع جديد من خلال خطة متكاملة للتنمية الشاملة، هو مجتمع الآمال الكبار، مجتمع الاستقلال الكامل من كل سيطرة أجنبية، مجتمع مضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات، مجتمع العدالة الاجتماعية، مجتمع التصنيع وغزو الصحراء، مجتمع التعليم المجانى للفقراء حتى أعلى المراحل، مجتمع الدور الرائد والقائد لمصر فى وطنها العربى الكبير وفى منظمة التحرير الإفريقية وحركة عدم الانحياز ومناهضة الاستعمار والصهيونية، والتفرقة العنصرية، ومن هذا المجتمع استمد كل مواطن ثقة كبيرة بالنفس وتطلع على المستوى الشخصى إلى مستقبل أفضل، وتجسد هذا الوضع كله بوضوح أكبر فى مجتمع الشباب، الذى انهمك فى عملية البناء وفى النضال من أجل الاستقلال.

فأين نحن الآن فى مصر من هذا ؟ وهل يمكن أن تكون ذكرى ميلاد عبد الناصر مناسبة لاستعادة دوره فى قيادة مصر وما أرساه من مبادىء وقواعد تحتم العمل الوطنى؟ وهل يمكن للشعب العربى

المصرى أن يجتاز محنتـه ويعود إلى استئنـاف دوره فى قيادة هـذه المنطقة نحو بنـاء مجتمع مستقل يقـوم على التقدم المادى والعـدل الاجتماعى، ويحقق الأمان لكل شـاب ينشأ فى أحضانـه؟ وهل يلعب الشباب فى مصر دوراً فى إعادة صياغة سياساتنا الوطنية والاجتماعية بما يحقق هذا الهدف ؟

نحن لا نشك بالرغم من كل الصعوبات التى تمر بها مصر والوطن العربى أن تجربة ٢٣ يوليو لن تكون مجرد صفحة طـويت فى تاريخ مصر والعروبة، بل هى مـرحلة مجيدة تقدم لنـا اسسـاً واضحة للمستقبل، ولهذا فإنها تفرض علينا استيعاب دروس هذه المرحلة واستخلاص المبادىء التى هيأت فى هذه المرحلة تحقيق قدر كبير من التقدم، وأن نحسن الاستفادة منها مستقبلاً .

★ ★ ★ ★

الناصرية والمشروع الحضارى

بقلم الدكتور :
أحمد الصاوى

تحل الذكـرى الخامسة والسبعـون لميلاد القائد المعلم، وسـاحة العمل السيـاسـى تشهد تحولين جوهـريين فى مسار المشروع الناصرى، فلأول مـرة منذ رحيل عبد النـاصر يصبح للناصريين بمصر حزب قانونى يضطلع بأعباء قيادة التيار الناصرى والتعبير عن إرادة الجماهير. ذلك هو المتغير الأول أما الثانى فهو اطراد ظاهرة تحول عبد الناصر والناصرية ذاتها إلى إطار مرجعى وتقييمى فى السياسة العربية .

فعبد الناصر يوشك على أن يصبح "إرثاً " تتنازعه أخلاط شتى من أهل الحكم والسياسة فى وطننا العربى، فعند كل ضائقة وشدة تفترق عندهـا سبل الحكومات العربية، تحرص الأطراف كلها بما فيها ذلك الواقف منها على طـرفى النقيض، تحرص على التأكد وبقوة أنها تفعل نفس مافعلـه عبد الناصر فى مواقف متشابهة، وأن "الاخرين" يقترفون "إثماً " لم يدر بخلد عبد الناصر أن يأتيه عربى ولاحتى فى اخر الزمـان .عبد النـاصر الذى لم يتـورع كثيرون عن تمزيقه والتمثيل بتاريخ نضالـه فى مشاهد هى الأكثر فجـاجة وفظاظـة فى تاريخنا العـربى، نجده لافتـة حاضرة فى زمن الفتنة الكبرى، عنـدما بشر «السـادات الدجـال » أمم العرب والمسلمين قـاصيهم ودانيهم بأن مـاعـرفوا تـلاوته من القـرآن أو بالأحرى بعض ماعرفوه ليس بصحيح، فاليهود فى نظره، قد أضحوا أبناء عمومة، لايفصل بيننا وبين مودتهم سوى «جدار نفسى» حتى إذا ماانهار هذا الجدار كف اليهود عن أن يكونوا أشد الناس عداوة للذين آمنوا .

والمفارقة هنا أن السادات نفسه، ورجالـه إلى الآن، قالوا إن عبد الناصر كان سيقبل "الصلح" مع تل أبيب، بعـدما وافق على القرار(٢٤٢)!! وتمادى البعـض فى الغى وتحدث عن اتصالات سريـة لعبد الناصر مع الصهـاينة، كل ذلك قد حـدث، ولاأحد يدعى أن السـادات كان من بين الذين يكنـون لعبد الناصر أى قدر من الإعجاب بسياسته أو الاقتناع بمبادئه.

وعلى الضفة الأخرى من كارثة زيارة القدس الشهيرة، وقف الوطن العربى بأكمله تقريباً مناوئاً لخطوات السادات ورافعاً فى ذات الوقت لافتة عبد الناصر وعنوانها العريض «الاءات الثلاث» لافرق فى ذلك بين مؤيدى عبد الناصر حال حياته وبعد الممات، وبين أولئك الذين ناصبوه العداء حياً وميتاً، على اختلاف مشاربهم السياسية ومواقفهم العقائدية (واللاعقائدية) من أقصى اليمين الرجعى إلى منتهى اليسار الطفولى.

عبد الناصر أيضاً كان حاضراً فى «الفتنة الكويتية» عندما تذكر، ودون سابق إنذار، الذين لم يتوقفوا عن تشويه صورته الجماهيرية والاستهزاء بأفكاره الثورية والوحدوية، أن الرجل لايمت بقريب صلة بالرئيس العراقى صدام حسين، وأنه أيضاً كان أول من دافع عن دولة الكويت وقتما أراد عبد الكريم قاسم أن يضمها عنوة للعراق.

ولأن تراث الرجل قد صار أضيع من الأيتام على موائد اللئام وبمناسبة انعقاد مايسمى بمفاوضات السلام، فقد سارع المشايعون لمثل هذا «العبث» مع الصهاينة إلى تأكيد أنه، لاطريق للحل سوى ذلك الذى يمر «بمدريد» وأنه لابد منها وإن طال «الرفض» وإن عبد الناصر نفسه لوامتد به العمر لجلس إلى مائدة المفاوضات فى قصر الشرق، حانياً قامته المديدة، أمام القزم شامير. ولم لا؟ الرجل فى رأيهم قد رأى الصهاينة رأى العين ولم يرفض الحديث معهم فى الفالوجا عام ١٩٤٨، بل وأبدى، قول مفتئت مجهول ــ إعجابه الشديد بهم !! ثم هو، أى ناصر، قد أمر بشرعية وجود الكيان الصهيونى عندما قبل بالقرار (٢٤٢) وكان لابد له بعد ذلك أن يتخلى عن «الموضة القديمة » ويبدأ فى التفاوض المباشر معهم !!

وكأن هؤلاء يقولون بأنهم على درب عبد الناصر سائرون، وحتى إذا ماواجههم معارضوهم والناصريون أيضاً بأن ناصر، تاريخاً وفكراً، كان ضد مبدأ التفاوض مع العدو الصهيونى، عمدوا إلى اختلاق الروايات التى يحيطها الشك من جانب ليبرهنوا على أن عبد الناصر قد جلس إلى اليهود فى مفاوضات هدنة ١٩٤٨، وأنه أرسل بعد ذلك من جلسوا معهم، وكأنهم قد عدموا كل حجة إلا «حجة عبد الناصر» الذى يوشك البعض إذا مازاد الخطب أن يدعى بأن الرجل لم يتململ فى قبره وهو يعلم بأن علم نجمة داود يرفرف فى سماء قاهرة المعز بل وأن هناك من سمعه فى قبره وهو يبارك ممتناً كل مايحدث !!

عبد الناصر الغائب الحاضر دوماً، صار رغماً عن الجميع، مرجعاً تقييمياً فى السياسة العربية وإن تميز هذا المرجع بالانتقائية فى كثير من الحالات، وذلك هو سر الوجود المكثف للصورة الناصرية عند كل محاولة لاستجلاء ماغمض من المواقف بل وعند كل مراوغة تستهدف خلط الأوراق وإلباس الباطل ثوب الحق «هل نقول قميص عبد الناصر؟! »

ذلك عن اللافتة الناصرية بأيدى غاصبيها على كره منهم، فماذا عن القابضين على الراية الناصرية؟! أحسب وقد احتدم الجدل عربياً حول الصيغة الحضارية للمستقبل أنه قد آن الأوان لأن يعيد الناصريون اكتشاف البعد الثالث فى الناصرية، وإذا ماكان الاستقلال عن الغرب هو «طول » الناصرية والوحدة العربية هى «العرض»، فإن العمق يبقى دوماً الهوية الحضارية الإسلامية، التى طالما استحضرت الأدبيات الناصرية مفرداتها عن عمد تارة وعن وعى لاشعورى تارات أخرى.

إن النظريات السياسية شأنها فى ذلك شأن المجتمعات البشرية لاتولد مكتملة النمو، وافية الأبعاد دفعة واحدة، بل إن هذه النظريات تبدأ عادة بجملة من الأفكار المحورية والافتراضات الأولية التى

تتأكد«أو تنتفى» وتستكمل أبعادها وتستوفى ملامحها عبر نضالات المؤمنين بهذه النظريات وتفاعلهم مع واقعهم المعاش بكل تفاصيله ودقائقه . إن التفاعل الخلاق مع المجتمع بما فيه أنصاره وأعداؤه هو الذى يضمن للنظريات السياسية حيويتها كقوة فعل يخشى بأسها المناهضون ويعول عليها المؤيدون .

وإلى أن يأتى وقت يستكمل فيه الجهد الجماعى للناصريين صياغة رؤيتهم للمشروع الحضارى العربى بعمق هويته الإسلامية، يتوجب هنا أن نشير إلى المحددات الرئيسية التى اشتملت عليها الناصرية فى هذا الصدد.

فالناصرية ترى ذلك الرباط الوثيق بين العروبة والإسلام انه يتجاوز مجرد كونه العامل الرئيسى فى تشكيل الوعى العربى بحقيقة وجود الأمة وتمايزها القومى، إلى أنه الضمان الأول لتطوير حياتها مستقبلاً، وتعيين الحدود الجغرافية لدول الوحدة، ومجالها الحيوى الفاعل أيضاً .

وما السياسة الإفريقية لدولة عبد الناصر إلا انعكاساً صادقاً لهذا الفهم الذى يذهب ضمناً إلى أن كل الجوار الإفريقى الذى استظل بحضارة الإسلام مرشح بقليل من الجهد إلى الالتحاق بركب الدولة العربية الواحدة . وفى الوقت الذى ظن فيه البعض أن جهود مصر الناصرية فى تدعيم انتشار الإسلام برعاية بعثات الأزهر ليست سوى محاولات لتوطيد نفوذها فى «القارة السوداء »، كانت دولاً إفريقية لم يدر بخلد القوميين العرب فى منتصف هذا القرن أن تندرج ضمن الحدود الجغرافية لدولة الوحدة، تنضم بالفعل لجامعة الدول العربية، وما الهجوم الغربى والأمريكى الذى ألقى بعصا التيار على التخوم الإفريقية فى تشاد والقرن الإفريقى وجنوب السودان وغرب أفريقيا، إلا محاولة محمومة لحصار المجال الحيوى العربى وفصله بجذوره العربية الإسلامية عن إمكانات الالتقاء بالنواة العربية .

إن جزءاً معتبراً من الجهد الناصرى، نظرياً وسياسياً، ينبغى له أن يتوجه نحو إفريقيا لاستثمار تراكم الجهود الناصرية التى تشعبت فى الستينيات لتشمل تدعيم حركات الاستقلال وتنمية الوعى بالإسلام وتعلم العربية، فى محاولة جادة لأن ينفض العملاق الغاف عن عينيه خداع الغرب الرأسمالى

والمحور الثانى ولاشك يتصل بمفردات المشروع السياسى الناصرى وهو يضوغ المجتمع العربى بوصفه مجتمع الكفاية والعدل . وفى هذا الإطار تقف الملكية العامة أو ملكية الأمة لوسائل الإنتاج الرئيسية، كمحدد رئيسى للاستعارات الحضارية التى نهلتها الناصرية من معين الحضارة الإسلامية الخصب، إننا لاننظر الان إلى هذا المحدد بوصفه نقلاً عن مدارس الاشتراكية، أو ردة فعل لفشل تجربة الرأسمالية وإنما كتطوير حى وخلاق وعملى فى آن واحد لمعالجة المسلمين لقضية الملكية فى إطار مصلحة الأمة .

وترتبط بفكرة ملكية الأمة، أهم خصائص الدولة فى الناصرية بوصفها أداة لإعادة توزيع الدخل . وقد استخدمت دولة عبد الناصر، سواء عن قصد أو بدون، أهم وأخطر الأدوات التى ارتكنت إليها حضارة الإسلام فى هذا المضمار، ونعنى بهما الصحة المجانية والتعليم دون مقابل مادى .

فبالإضافة إلى الأبعاد الإنسانية التى تكمن وراء إباحة حق العلاج والتعليم وكفالتهما من قبل المجتمع تبقى لهاتين الخدمتين أثرهما الفعال فى إعادة تصحيح أى خلل فى توزيع عائد الثروة القومية ثم دورهما الفاعل، ولاسيما التعليم المجانى، فى صياغة وجدان الأمة بإتاحة الفرص المتكافئة لكل

المواطنين على اختلاف مشاربهم السياسية وانتماءاتهم الاجتماعية فى أن يلحقوا بركب النخب السياسية وأيضاً النخب الثقافية التى تلعب الدور الأكبر فى تحديد قسمات الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية .

إن حرص الناصريين على الاستمساك بهذه المفردات وتطويرها سواء على مستوى الخطاب السياسى أو على صعيد الممارسة العملية سيكون ولاشك عماد الرؤية الناصرية المتفردة لملامح المشروع الحضارى الإسلامى فى عصر تحتدم فيه يوماً بعد يوم ملامح الصراع الحضارى الكبير بين حضارة الغرب العدوانى الآفلة وبين حضارة الشرق الإسلامى الناهضة بعد طول إغفاء .

إن ذلك الأمر سيكفل من ناحية الفكاك من الحصار الذى يضربه الغرب حول حدودنا تمهيداً للهجوم علينا داخل حدود كل قطر، مثلما يضمن للأمة ألا يكون المال والسلطة والعلم دولة بين الأغنياء منا وحسب .

★ ★ ★ ★

رجوع عبد الناصر!

بقلم : سيد حسان

فى تجليات الروائى جمال الغيطانى يرجع عبد الناصر إلى القاهرة مندهشاً ومستغرباً أحوال القاهرة وما حدث فيها منذ رحيله إلى جوار ربه، الناس تغيرت أزياؤهم ، طريقة حركتهم فى الشارع، المبانى تغيرت، النيل هو الشىء الوحيد الباقى على حاله رغم الحزن الشديد البادى على وجهه .

خيال الغيطانى هذا والذى أراد به أن يعبر عن مجمل التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى حدثت فى أرض الواقع منذ عام ١٩٧٠ وحتى الان يمكن أن يكون مقدمة ودخولاً من الخيال إلى عالم الواقع لدى رجوع عبد الناصر إليه وكما نعيشه ونحسه ونراه ونتصرف إزاءه .

رجع عبد الناصر إلى القاهرة وشاهد علم العدو الصهيونى يرفرف على النيل متحدياً دماء مئات الالاف من خيرة شباب مصر منذ عام ٤٨ وحتى الان، عبس وجهه وثارت الدماء فى عروقه وتحسس مسدسه لكنه عندما رأى ضباطاً وجنوداً مصريين يحرسون السفارة لم يجد تفسيراً لما حوله واستمر فى سيره وفى تجواله، رأى الهموم المرسومة على وجه الإنسان المصرى الذى عمل من أجله طوال فترة حياته وفجر ثورة يوليو ووضع مصر وشعبها على بدايات نهضة حقيقية تعتمد على بناء الذات ومات شهيداً من أجل شعبه وأمته العربية .

تعرف عبد الناصر فى تجواله بالقاهرة إلى بعض الأماكن رغم مااعتراها من تغيرات وسرح بخياله إلى ليلة الثورة وهو يمر بسيارته على منازل أعضاء مجلس الثورة استعداداً للغد العظيم وقيام الثورة وشاهد من بعيد مبنى مجلس قيادة الثورة الذى اتخذت فيه أخطر قرارات الثورة فى أيامها الأولى ، سمع هدير الجماهير فى اليوم الأول للثورة وهى تهتف لجيش مصر وأبنائه ودورهم الوطنى فى الوقوف ضد الانجليز والقصر والأحزاب الفاسدة وصل إلى الأزهر ورأى بعض التصدعات التى حدثت فى بعض الاثار الإسلامية فى المنطقة من جراء زلزال ١٢ أكتوبر وسأل نفسه هل هناك طائرات صهيونية أغارت على المكان وبطبيعة الحال لم يكن يعرف أن هناك زلزالاً ضرب مصر كلها وأن الصهيونية « إسرائيل » أصبحت صديقة!! منذ أن وقع السادات صلحه المنفرد سيناريو وإخراج الأصدقاء الأمريكان !!

رأى قباب الأزهر وتذكر العدوان الثلاثى وماسبقه من إنذار بريطانى - فرنسى تمهيداً لاحتلال منطقة القناة بعد أن قامت الصهيونية إسرائيل بالخطوة الأولى وهى الهجوم على سيناء، استحضر عبد الناصر هتاف الجماهير وهويقف داخل جامع الأزهر ويعلن أن مصر ستقاتل ويقاتل الجيش والشعب ويندحر العدوان الثلاثى وتكون معركة قناة السويس هى النهاية الدرامية التى انزوت بعدها الإمبراطورية البريطانية وانتهت سمعة فرنسا مناصرة الحرية وتحرر الإنسان!!

عاد عبد الناصر إلى حلمه الكبير فى وحدة عربية شاملة من المحيط إلى الخليج وطوفان الجماهير فى حلب بعد إعلان وحدة مصر وسوريا التى تآمرت عليها القوى الرجعية والاستعمارية إلى أن حدث الانفصال .

وعبر محطات ووقفات فى أنحاء مصر أدرك عبد الناصر أن مصر تغيرت عما كانت عليه يوم رحيله ولأنه يدرك أن أى تغير يحدث فى مصر فلابد له من انعكاسات فى المنطقة العربية والإفريقية والاسيوية فقد تيقن أن هناك تغيرات كبيرة حدثت فى المنطقة العربية، سواء على الصعيد السياسى أو الاجتماعى

.

وفى أثناء ذلك يعود عبد الناصر بذاكرته إلى أيام حصار الفالوجا، عندما أدرك أن تحرير فلسطين لن يبدأ إلا بعد تحرير مصر .

رائحة وجو القاهرة ذكراه بالأيام الأولى التى أخذ فيها يفكر فى بناء تنظيم الضباط الأحرار، ففى تجواله التقى بعديد من المواطنين، وأخذ يستمع إليهم « علم إسرائيل فى القاهرة ياريس»و«بيجن أصبح صديقاً »« الفساد يزكم الأنوف »« البطالة كثيرة والشباب لايجد العمل»«الأمة العربية ممزقة» الرجعية تتحكم فى المصير العربى »

تركز ذهنه عدة لحظات فى دوائره الثلاث الدائرة العربية والإفريقية والإسلامية، وأمسك بصحيفة من طبعات الصحف الأولى وقرأ العناوين الرئيسية «قوات أمريكية فى الصومال»«حصار جوى غربى لليبيا»«إنذار أمريكى فرنسى بريطانى للعراق»«مذابح مرعبة للمسلمين فى البوسنة والهرسك»

أين العالم الثالث وقوته؟ أين عدم الانحياز؟ ماالذى يحدث فى العالم ؟ وهل هيمنت أمريكا وأصبحت هى القوة الوحيدة والمتحكمة فى مصير العالم ؟ أين الشعب المصرى وأين بقية الشعب العربى من كل ما يحدث حوله؟

أسئلة طافت فى ذهن عبد الناصر وهو يشعربلسعات برد القاهرة عند الفجر .

واجه عبد الناصر نفسه عندما سأل نفسه ماالعمل؟ نظر إلى تاريخ الصحيفة التى اشتراها من ميدان الأزهر ووجده الرابع عشر من يناير ١٩٩٣ بدا وكأن الأمر غريباً عنه فهو يتذكر وداعه لرؤساء ملوك الدول العربية فى يوم الثامن والعشرين من سبتمبر ١٩٧٠ هل غاب هذه الفترة الطويلة وكيف حدث ذلك؟ قلب صفحات الجريدة وقراء مذكرات خالد محيى الدين عن الثورة وقرأ كلمة «المرحوم جمال عبد الناصر» كيف إذن وجوده الآن فى القاهرة؟

لم يجد تفسيراً لما يحدث حوله لكنه فكر فى السؤال الذى جاء إلى ذهنه ماالعمل؟

هل يعود إلى الجيش ويبدأ فى تكوين تنظيم الضباط الأحرار مرة أخرى؟

وفى إجابته عن هذا السؤال رأى أن المسألة أصبحت أكبر من بناء تنظيم داخل الجيش فالظروف الداخلية والدولية تغيرت ، كما أن القوى الاخرى لن تسمح له بالرجوع الى الجيش مرة أخرى والعمل من داخله.

فكر وتدبر الامر وعاد بالذاكرة الى يوم ان قدم استقالته وعرض على الجماهير ان يعود مواطنا

عاديا يؤدى دوره كأى مواطن مصرى، أخذ يقلب هذه الفكرة فى نفسه، ان الاعتماد على الجماهير هو ما اعتمده طوال حياته بعد ان فجر ثورته وخطر له ان يذهب الي الاذاعة والتليفزيون ويلقي بيانا يوضح رغبته فى اصلاح مـا افسدته سنوات الـردة، وبالفعل ذهب بالقرب من مبنـى الاذاعة ووجده محاصرا بقوات الشرطة ولم يستطع ان يدخل.

عاودته فكرة العمل من خلال الجماهير ومع سماعـه لأذان الفجر من خلال الاف المآذن في القاهرة والمعزبـة كان قد وصل الي تفكير لا يبعده عن تفكيره الاول ولا يجعلـه يتخلى عن خبراته مع الجماهير قرر عبدالناصر ان يكون حزباً جماهيريا يحقق اهدافه في الحرية والاشتراكية والوحدة.

كتب عبدالناصر بخط جيـد على ورقة وجدها في جيبه وعلى ضوء الشمس الـذي بدأ ينشر الدفء فى القاهرة حزب جماهيري ديمقراطى مستوياته بالانتخاب من القاعدة حتى القمة لا استعباد فيه، حزب مناضل، حزب يعيد الوجه العرى والتقدمى لمصر ولأمتها، حزب للجماهير وبها.

ومع بداية صخب الناس وخروجهم لاعمالهم عاد عبدالنـاصر الي المكان الذي جاء منه لكنه كان قد ارسل اوراقه الى إحدى الصحف التى نشرت خبراً صغيراً عن حزب عبدالناصر!!

وفي نفس يـوم نشر الخبر تـلامست اسـلاك التليفون ودقت خطـوط الفـاكس وتهامس الصغـار والكبار وارتعشت ايدي في واشنطن وغيرهـا في العواصم الغربية وشد مشايخ الـرجعية اعداء الحرية والاشتراكية والوحدة ذقونهم لأن العالم كله كان يتحدث عن حزب عبد الناصر .

ومع تجليات الغيطانى وخياله الذى بدأنا منه نعود مرة أخرى لنؤكد أن هذا الخيال لن يتحقق لكن الذى يمكن أن يتحقق هو حزب عبد النـاصر الجماهيرى الذى يضم الملايين التى عمل ومات من أجلها من المحيط إلى الخليج .

★ ★ ★ ★

شجاعة الإبداع الوطنى

بقلم:
أبو القاسم الخولى

.. كان عبد الناصر أكبر « مستهلك لنواتج أجهزة الإعلام »

.. منذ ٤٠ عاما كان عالم عبد الناصر أكثر بساطة وأقل تشابكا

.. واجهات المحلات . لماذا تهدد الثقافة الوطنية والسلام الاجتماعى؟!

« فلنتطلع إلى المستقبل » .. هذا هو الشعار الذى ينبغى أن يضعه الناصريون فى هذه المرحلة نصب أعينهم . لا بوصفـه مقولـة لفظية ولا مسـايرة مطـروحة للتـوافق مع العصر ، ولكن بوصفـه منطلقا أساسيا ينبغى تحويله بالفكر إلى مبدأ .. ومن ثم ترجمته بالعمل إلى برنامج للتنفيذ .

والناصريون أولى القوى والتيارات السياسيـة والاجتماعية بالتطلع إلى المستقبل . واذا كان الرافد الناصرى فى السياسة المصريـة – العربية المعاصرة يستمد أصوله من ينبـوع ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فإن الثورة فى أبسط تعاريفها عند الزعيم عبـد الناصر هى " علم تغيير المجتمع " بكل ماتنطوى عليه هذه المقولة من ضرورة الأخذ بالنهج الموضـوعى عند تشخيص ومعالجة المشكلات ، وكذلك من تبنى

منطق الصيرورة الذى يرفض " دومجا " الجمود المذهبى أو البكاء على أطلال فكرية وبُنى (جمع بنية) عقائدية درست وتجاوزها الزمن .

والتطلع إلى المستقبل يقتضى إبداعا فكرياوايديولوجيا وبرنامجيا فى آن واحد.

وهذا اللون من الابداع فى العمل الوطنى يتطلب بدوره التسلح بما يمكن أن نسميه بـ «الشجاعة الفكرية » ونظن أن هذه الشجاعة فى مواجهة الواقع كانت السلاح الأول لجمال عبد الناصر إزاء الواقع المصرى فى الاربعينات ، ثم إزاء تحديات ومطالب العمل الوطنى فى الداخل والخارج فى الخمسينات وما بعدها .

أفكار بين السماء والأرض

بديهى فى هذا الصدد أن فكرة الثورة وضرورات إسقاط النظام الملكى وتأميم قناة السويس ، بل وتأميم عوامل ومؤسسات الإنتاج الكبرى فى المجتمع المصرى،ناهيك عن دعوة القومية والوحدة العربية ،والحياد الايجابى ورفض الأحلاف - كل هذه المقولات كانت مطروحة ومتداولة فى أدبيات الفكر السياسى المصرى ما بين المرحلة العرابية التى وصلت إلى حد الدعوة لإعلان النظام الجمهورى وحتى فترة الفوران والغليان فى النصف الثانى من الأربعينيات حين تداولت أطروحات « الحزب الاشتراكى » « الحزب الوطنى الجديد » فضلا عن منشورات تنظيم « الضباط الأحرار » والإصدرات العلنية والسرية للتنظيمات الماركسية فى تلك المرحلة .ودعوات إسقاط النظام الملكى وتأميم وسائل الإنتاج ومواجهة الاحتكار الإقطاعى للملكية الزراعية والتصدى للهيمنة الأمريكية التى كانت بازغة مع مطلع الخمسينيات وذلك فى إطار المطلب الوطنى - الأساسى وهو تحرير الوطن من الاحتلال البريطانى .

أنواء الثورة وعواصفها

لكن هذه الأهداف والغايات كلها ظلت حبيسة السطور المكتوبة فى السر والعلن ، أو ظلت تتردد الألسنة وبين حناجر الخطباء وظلت أيضا امالا عراضا تجيش بها صدور قطاعات لا حصر لها من أبناء الوطن المصرى ، ولم يقدر لها أن تدخل حيز التنفيذ إلا بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وكان الفضل فى هذا كله للشجاعة الفكرية التى تحلى بها جمال عبد الناصر بالذات والذى لم يكن ينعم بريح رخاء فى سنوات الثورة الأولى . بل كان عليه - كما كشفت مؤخراً مذكرات الأستاذ خالد محيى الدين - أن يقود سفينة الثورة وسط أنواء وأعاصير عاتية، منها ما كان يهب من زوايا النظام القديم ، ومنها ما كان يهب من أعتاب مكتبه شخصيا فى مجلس الثورة أو مجلس الوزراء !

هذه الشجاعة لم تكن اندفاعة وراء تحقيق الأحلام التى كانت مستكنة فى الفؤاد الشقى، بل كانت تستند ـ كما أكدت الوثائق والكتابات اللاحقة ـ إلى حسابات موضوعية وإلى توقيتات ملائمة و إلى برمجة الوصول نحو الهدفَ باستثمار المتاح من الموارد والطاقات .

ولعل ملحمة تأميم قناة السويس قد كانت هدفا مطروحا كما أسلفنا . تجسد هذا اللون فى الاقتراب الشجاع من الهدف بغية تحديده جيدا، ومن ثم وضع تقديرات الموقف مرحلة مرحلة .. ومحاولة رصد واستباق ردودفعل القوى المختلفة .. وحشد المتاح من الإمكانات التى يملكها العمل الوطنى . مع ذلك فلا يزال الدارس يلاحظ فى معرض التحليل أن أسلوب الاقتراب الناصرى نحو الهدف كان يترك فرصة باستمرار لما يمكن تسميتة بـ « المُعامل الشعبى » وهو عنصر استلهامى كما

قد نقول ، يعتمد أساسا على إيمان الجماهير بالهدف وثقتهـا فى قيادتها الوطنية والتفافها من حولها ، لا بـا لمظاهـرة أو الشعار – ولكن بتعبئـة القـدرة والإمكانيـة على المستوى المادى وبحشـد الطاقـات المعنويـة التى ترفع العمل الوطنى إلى مستـوى دفء التواصل بين القيادة وأوسع قطـاعات الجماهير وبغير هذا المُعامل الجماهيرى لا يمكن مثلا تفسير أن يعمد نظـام حكم إلى توزيع نصف مليون قطعة سلاح كى تتداولها أيادى أبناء الشعب بغير تمييز وبغير رقيب سوى الضمير الوطنى.

وبغير هذا المُعـامل أيضا لا يمكن تفسير الإصرار على بناء السـد العالى فى مواجهـة رفض التمويل وتصفية المشروع مـن الغرب (جون فـوستر دالاس وايوجين بـلاك وأنتونى إيـدن) ثم الإصرار على مواصلة بناء المشروع مع أواخر الخمسينيات فى غمار مـواجهة كانت ساخنة مع الشرق (تجسدت فى الملاحات السياسية والعقائدية التى اندلعت بين جمال عبد الناصر ونيكيتا خروشوف) .

شجاعة الإبداع المحسوب

إن الإبداع عمل رائد غير مسبوق فى الأسـاس . ولا ريادة بغير شجاعة على اقتحام تخوم لم تكشف ، والدخول فى مسالك واصطناع .أساليب لم يسبق إليها أحد من قبل .

بيد أن رجلا من طراز عبد الناصر ما كان يبيح لنفسه حتى ترف الابتكار أو الابداع دون استشراق لاحتمالات النجاح أو عواقب الفشل.

إن الإبداع فى الفن أو الأدب شأن فردى أو تكاد تكون عواقبه محدودة بحدود الفنان أو الأديب فإن اتسعت فهى تمس جمهور النقاد وجمهور المتلقين .. لكن الابداع – الابتكار والتجديد فى مجال التطور الاجتماعى – الثورى بالـذات يمتد إلى آفاق أبعد عبر المكان وأيضا عبر الـزمان . ربما لهذا السبب كان جمال عبد الناصر يلجأ إلى أدوات شتى فى محاولة اجتهـاد بشرية لترشيد الاقتراب نحو تحقيق الهدف المنشود:

- قرارات مكثفة لمتابعة تجارب أمم وشعوب أخرى .
- حـوارات مستفيضـة كـان يدخل طـرفا فيهـا وخـاصـة مع ذلك الطـراز من الزعماء المفكـرين والبنّائين الـذين اتسم بهم عصر عبد الناصر ..رجـال من أمثال جواهـر لال نهرو وشوين لاى واحمد سيكو تورى وجوزيف مروز تيتو .
- إسناد نفس التكليف لأكثر من خبير وأكثر من باحـث وأكثر من مسئول فيما يمكن وصفه بأنه محاولة « للسبر » فى أكثـر من موضـع وصولا إلى تـوافق آراء أو ما يشبه الاتفاق على بلـورة وسائل أو أساليب يشار إلى اتباعها عند التنفيذ .

ثم يطالعنا أيضا المُعامل البشرى .. متمثلا فى شخص الزعيم نفسه الذى كان أكبر مستهلك لأجهزة النشر والإعلام فى عصره .. يتابـع الراديو وبرامجه ونشراته الإخبـارية محليا وعا لميـا .. يقرأ الصحف ويستقرىء من أبوابها وإعلاناتها .. فى صفحة الوفيات ما يعينه على فهم شبكات المصالح والعلاقات

- ورسم صورة أقـرب إلى الواقع لخريطة المجتمع الذى يعيش فيـه .. يحرص على الاطلاع على سيل الـرسائل الخاصـة التى تصلـه يوميـا من احاد المواطنين مـن الداخل ومن خـارج الحدود .. دعْ عنك الاطلاع المتواتر والدؤوب على تقارير مؤسسات وأجهزة المعلومات المختلفة العاملة فى الدولة .

ثم كـان هناك النقـاش والحوار حيث يجمع الذين اقتربـوا من الزعيم فى الحيـاة اليوميـة أنه كـان مستمعا من طـراز فريد . حيث كان الإصغـاء يختلط بالاهتمام بالجدية وبـالصبر أيضاً ..كل ذلك فى إطار ذاكـرة حازمـة واعية ورغبـة فى استطلاع " الاخـر " ومن الميســور فى هذا الصـدد الاطلاع على

محاضر مجلس وزراء – عبد الناصر حيث كان النقاش يفتح أمام الجميع ..وحيث كان الزعيم يعمد إلى تأخيرأطروحاته وارائه إلى نهاية الجلسة كى لا يصادر على اراء الاخرين .

مصر ساحة للحوار

وربما لم تشهد مصر فى تاريخها حوارات ثرية ونقاشات حافلة بالاختلاف والاتفاق بالنقد والنقد الذاتى . كما شهدت فى وقائع اللجنة التحضيرية والمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية منذ نحو ثلاثين عاما وقد تمحضت عنهما وثيقة الميثاق الوطنى – ٢١ مايو ١٩٦٢ وفى إطار هذين الحدثين طرح الفرقاء وقد تم اختيارهم بانتخاب حر ممثلين لكل قوى الشعب فى العمل الوطنى – طرحوا بنية الوطن وهمومه وقضاياه .. وطرحوا أيضا طموحات الوطن وآماله وتعلقاته – على طاولة جراحة فى محاولة جماعية وشاملة لتشخيص دوائه وإلتماس سبل العلاج وتأمين دواعى العافية فى المستقبل .

إن «كاريزما »جمال عبد الناصر لم تستند بداهة إلى منصب الرئاسة الذى تولاه وإلا لما كانت هذه " الكاريزما " قد تجاوزت حدود مصر إلى الوطن العربى وإلى العالم الثالث وبلدان شتى فى الشرق والغرب .

أنها " كاريز ما " الابتكار واستشراف المستقبل وشجاعة المواجهة إزاء المشكلة والقضية والازمة بل والكارثة فى بعض الأحيان .. وبغير هذا الابداع الناصرى ما دخلت بسهولة فى قاموس الحياة والثقافة العربية المعاصرة ألفاظ ومفاهيم ومصطلحات من قبيل : التصنيع ، والادخار ، والتنمية والخطط الإنمائية ، وعدم الانحياز والاعتماد على النفس وما إلى ذلك بسبيل .

والرجل لم يكتشف هذا كله ولم يصنعه من العدم .. بقدر ماستطاع بجهده ومواهبه ودأبه على اكتساب الخبرة والتعليم ، ان يهضمه ويستخدمه فى تحريك عجلة العمل الوطنى فى ميدان التحرر والتنمية وتعبئة الجهود المحلية الذاتية – العربية والأفريقية لدعم هذا العمل الوطنى ودفعه إلى الامام .

التراث والميراث الناصرى

ومثل كل إبداع بشرى .. فان هذا «الميراث » الناصرى فيه ما ينبغى أن يتحول إلى تراث جريا على سنة التغير، وفيه ما يظل صالحا كمنطلقات أساسية ومبادىء أصيلة للعمل الوطنى الذى ينذب الناصريون أنفسهم إلى إنجازه فى هذه المرحلة التى نقترب فيها من القرن الحادى والعشرين .

إن العالم كله يحاول أن يطور اساليبه .. وهو فى ذلك يخطىء بالطبع أو يصيب .. الشيوعية التى كانت فى الشرق تجاهد الآن فى التحول إلى افتقاد السوق والعودة إلى المشروع الخاص .. والرأسمالية فى الغرب تجدد نفسها وما دامت قد أفلحت فى ذلك فتشجع المشروع الخاص وتفرز اقتصاد السوق .. أى نعم .. لكنها أيضا لا تطلق لسانها بهجاء أحمق للنيل من أى« منجزات تحققت على يد الدولة أو القطاع العام ..

إن تأمين الخدمة والرعاية الصحية وهو شأن من شئون القطاع الحكومى العام بقى فى انجلترا فى ظل تاتشر أكثر العهود إمعانا فى التوجه الرأسمالى .. والبرنامج الانتخابى الذى نجح به تحالف «كلينتون – جور » فى امريكا يتمحور حول المزيد من فعالية دور الدولة – المؤسسة الفيدرالية بالولايات المتحدة لتحقيق ماوعد به التحالف الديمقراطى المستجد على البيت الأبيض من مد مظلة الرعاية الصحية ومن الانحياز للقطاعات المحرومة والمستضعفة من فقراء المدن الملونين والاقليات والمعاقين والمشردين فى المجتمع الامريكى ..

وأيا كانت التوجهات . فالاجتهادات متعددة ولا تنقطع عن تقليب النظر فى المشاكل .. «فلا الدولة ظلت قابضة فى الشرق ولا يجوز لها أن تظل حارسة " أو" محايدة " فى الغرب .

ونظن أن الناصريين مطالبون فى ظل هذه المتغيرات وبعضها صاعق يبعث على الذهول - بأن يتسلحوا بهذه الشجاعة الإبداعية التى مارسها عبد الناصر بحيث لا يبدأون بمنطق التسليم بأطروحات تواضع عليها القوم فى الماضى وباتت غير ذات موضوع كما يقولون مع اقتراب الألف الثالثة للميلاد.

وعلى خلاف جميع القوى السياسية الفاعلة على الساحة السياسية المصرية (إن كانت ثمة قوى فاعلة حقا) - فالناصريون يستندون إلى تجربة شجاعة وإيجابية مثيرة فى العمل والإنجاز الاقتصادى والاجتماعى والسياسي.

وقد لانجاوز الحقيقة والنصفة إن قلنا إن ما تبقى لفقراء هذا الوطن من مكتسبات تصون كرامة الانسان .. إن هو إلا نبت باق من ثمرات التجربة الناصرية العتيدة التى ينبغى أن نتعامل معها بمنطق التحليل النقدى وليس بمنطق التكريس من ناحية ولا بمنطق التبرير أو الاعتداء عليها من ناحية أخرى.

قضايا وتساؤلات جوهرية

إن هذه الشجاعة الابداعية تطالب الناصريين وفيهم - بحمد الله - أكبر حشد من المواهب والطاقات البحثية والمعرفية والاعلامية والفكرية والعملية - بأن يطرحوا على أنفسهم قبل الآخرين عدة قضايا تلخصها تساؤلات هى :

- كيف يصبح (حتى لانقول يعود) الاقتصاد المصرى اقتصادا انتاجيا لا يتجه نحو الكسب الريعى سواء كان الريع أو المرور اتيا من بترول أو مجرى مائى مثل قناة السويس أو من السياحة التى نصاب بهلع رهيب اذا عصفت بها عوارض الأحداث ؟

- كيف نمارس تنمية حقيقية وليس مجرد نمو تتراكم فيه الثروات وتتورم فيه الذمم المالية - لمن لا ذمة لهم فى بعض الاحيان ، ودون أن ينعكس هذا النمو على ترقية التعليم أو رفعة الثقافة أو تطوير الكوادر وتدريب المهارات أو تحقيق عدالة التوزيع ؟

- ثم كيف ننجز هذه التنمية الحقيقية إذا لم تكن تنمية مخططة معتمدة أساسا على النفس .. وهو ما لا يتأتى بداهة إلا بنبذ الاعتماد المتواكل على المعونات والقروض الخارجية ، ناهيك عن إدمان هذه المعونات ، ثم بحشد الطاقات الوطنية حول أسلوب حياة أقل إسرافا فى الاستهلاك الترفى وأقسى رقابة على المال العام .. مما لا يتحقق بدوره إلا فى ظل مؤسسات ديمقراطية حقيقية خاصة على صعيد المحليات.

لافتات التغريب الخطر

أنظر حولك - على طريقة التليفزيون - إلى واجهات المحلات .. الجديدة والمجددة ايضا .. ولسوف تلمس كيف ان لغتنا فى خطر ، وثقافتنا القومية فى خطر وتأمل أنماط استهلاك الناس وطريقة التعامل فيما بينهم .. ولسوف تلمس أيضا ان سلامنا الاجتماعى فى خطر أيضا.

إن أربعين عاما تفصلنا عن اللحظة التى أطل فيها عبد الناصر فى مطالع ١٩٥٢ على مجمل مشكلات هذا الوطن .. فى محاولة لا لتماس سبل العلاج ..

ولا نتجاوز حين نقول إننا نواجه فى هذه المرحلة تحديات اقسى واشد شراسة مماسبق وإن واجهة

جمال عبد الناصر بجلال قدره .. كانت المشاكل فى عصره ابسط واقل تعقيدا وتشابكا، وكانت خريطة العالم فى حال من الترتيب و«التسْتيف» بصورة لا تستعصى على فهم اللبيب كما قد نقول .. ثم كانت هناك دعاوى الوطنية والنهضة والقومية والتطوير والبناء والاستقلال السياسى والا قتصادى ، مما كاد يصبح عملة مطرودة وأحيانا مطروحة خارج السوق فى زماننا .

ولو قارنت بين الوضعين عبر الاعوام الاربعين عاما الفاصلة – لأدركت جسامة التحدى المطروح امامنا . وإن كنت فى شك من أمرك فما عليك إلا أن تتأمل واجهات المحلات .. من جديد ؟!

****

الفكر القومى بين شموخ الناصرية ومهانة مابعدها

بقلم :
مجدى رياض

هذه محاولة متواضعة لقراءة الوعى القومى فى مرحلته الخصبة الناصرية – فى تاريخنا العربى الحديث، ليس الهدف منها التغنى بالماضى أو التعويض النفسى عن التفكك الذى صاحب الفكر بل والحركة القومية، أو المذلة والمهانة التى تعيشها الأمة فى هذه الآونة..، لكن الهدف الحقيقى وراء هذه القراءة السريعة هو الإشارة إلى بعض الضوابط والأسس التى أضافتها الناصرية للفكر القومى والتزمت بها فى المواقف والأحداث التى اقتحمتها أو أقحمت فيها ..

إن أهمية هذا الموضوع تكمن فى التيقن من أن الأفكار أو المنطلقات النظرية لا جدوى منها إن لم تتحقق فى التاريخ وفى تغيير مسار الأحداث ، وفى الشق الثانى كانت الناصرية نموذجا مميزا وفريدا فى ربط الفكر بالممارسة .. وفى بلورة أسس واقعية للعمل الثورى.. والتغيير الحقيقى..

إن قراءتنا هنا سوف تستعين ببعض الأحداث، ولكنها لن تركز على الانتصارات حتى لا تقع فى منزلق الروح الدعائية التى تتغلب على المنطق والواقع، وحتى تثبت صحة الأفكار التى تشير إليها أو تؤكد أهميتها وانتماءها لها.. فقد اختارت أحداث تمثل الصدام العربى / العربى أو تجسد النكسة الحقيقية فى مسار الثورة والنضال العربى..

النكسة أو الانفصال

إن أهم ماقدمته الناصرية للفكر القومى هو ربط الأمة بالتاريخ وبالتقدم، ومن خلال الوعى الاجتماعى للتناقضات داخل المجتمع العربى وأشكال هذا التناقض اقتصاديا وسياسيا وثقافيا ...إلخ، ومن خلال إدراك يقظ لصراع المصالح الدولية ومتغيرات العصر ومعركة التحرر والاستقلال فى

مواجهة الاستعمار والاستلاب، من خلالهما - الوعى والإدراك - استطاعت أن تجعل لمفهوم الأمة معنى حياً ومتفاعلاً، فلم تعد الأمة مجرد وجود تاريخى انقضى، بل أصبحت ذات وجود تاريخى متطور وممتد .. ومتطلع نحو المستقبل ..، لقد نقلت الناصرية الفكر القومى من حالة التنظير والبحث عن أسانيد وجود الأمة إلى حالة البحث والفعل من أجل تفجير طاقات هذه الأمة..

ومن هنا لم تعد الناصرية فى حاجة إلى إثبات وجود الأمة أو حقيقة الوحدة بين الشعب العربى، وإنما راحت تبحث عن الوسائل والخيارات المتاحة، وكذلك الخطوات الممكنة فى إطار المستهدف والطموح المستقبلى، فانطلقت دعوات العدل الاجتماعى والتنمية المستقلة وثروات العرب للعرب.. إلخ ، واندفعت نحو الوحدة الاندماجية والأشكال الاتحادية ودعم الثورات والحركات الاستقلالية، وكذلك المنظمات والأحزاب القومية التقدمية ، بل وحاولت نفخ الروح فى الجامعة العربية..، وعلى هذا الدرب لم تندفع بالانتصارات فقط .. بل كانت تنطلق من قانون "تحدى النكسة" ، فالهزائم والنكسات أو حتى العثرات مجرد حوافز تستفز بها الإرادة القومية عقلها وحركتها لكى ينطلقا نحو أهداف النضال العربى بسرعة أكثر وجذرية أعمق وطموح أرحب..

وفى هذا السياق يجب أن نقف أمام درس النكسة أو الانفصال ، لقد تحالفت الرجعية العربية والاستعمار مع قوى الاستغلال والإقليمية داخل سوريا للانقضاض على الوحدة، وحدث الانفصال المشئوم .. لكن عبد الناصر لم يتراجع عن مسيرة الاشتراكية والقضاء على الاستغلال .. بل اندفع فى الطريق بخطوات ثابتة وجذرية..

فى ٢٨ سبتمبر عام ١٩٦١ انتقل الزعيم لأول مرة إلى دار الإذاعة المصرية ليضع أمام الشعب العربى تفاصيل الجريمة وختم خطابه بقوله :(إن أعلام القومية العربية لن تنتكس، فالشعب العربى لن يقبل أبدا أن تنتكس ثورته)، وفى اليوم التالى وبعد عدوله عن قرار المواجهة المسلحة خاطب الشعب قائلا :(إنى أعرف أن طعنة الصديق تمزق القلب ولكنى أطلب من الأمة أن ترتفع على شعورها بالألم) وأكد مرة أخرى أن ماحدث (ليس أول الخيانات ولن تكون آخر الخيانات ، ولكن ينبغى أن نمضى فى طريقنا) .

وفى يوم ٢ أكتوبر وخلال لقائه مع شباب الجامعة أكد نفس المنحى بقوله (لابد أن تكون النكسة نقطة بداية لانطلاقة جديدة من أجل محل أهدافنا)، وفى اليوم التالى -٣ أكتوبر - أعلن قادة الانفصال عن وجههم الطبقى حينما قاموا بإلغاء قرارات التأميم للشركات الاحتكارية الكبرى بسوريا وإعادتها للرأسماليين من جديد..

لم يمضِ شهر إلا وتم الإعلان عن تشكيل لجنة تحضيرية تتولى الإعداد لمؤتمر القوى الشعبية الذى يناقش تقرير عبد الناصر لتكون نتيجة المناقشة ميثاقا وطنيا، وبالفعل بدأت مرحلة جديدة ومجيدة فى تاريخ أمتنا العربية، مرحلة الاشتراكية والتصنيع ومحاربة الاستعمار فى قصور الرجعية على حد تعبير عبد الناصر..

الباخرة كليوباترا

ومن الإضافات البارزة للناصرية فى الفكر والحركة القومية العودة إلى الجماهير الحقيقية، الجماهير الشعبية التى طال حرمانها وطال غيابها عن المشاركة السياسية، لقد كانت الحركة القومية قبل عبد الناصر أقرب إلى الحلقية وتدور ضمن أوساط المثقفين وبعض شرائح الطبقة الوسطى با لمدن

خصوصـا، ولكنها مـع عبد الناصر انتقلت إلى النجوع والقرى وإلى المصـانع والـورش وإلى الأحياء الفقيرة، لقد استطاع عبد الناصر أن يدفع بهذه الجماهير – نتيجة ارتباطها بالتغيير ومصلحتها فيه ثم تعلقها به – إلى حلبة الصراع التـاريخى ، فتقدم مع هذه الكتل ليدك عروشاً وقصوراً ويـواجه جيوشا وقوى عاتية ويتحدى امبراطوريات – بريطانيا –ودول عظمى – أمريكا.

كانت قـوته الأسـاسية فى هذه المواجهـة الكبرى هى هذه الكتل الجماهيريـة، وقدرتـه على تعبئتها وقيـادتها، فبدون سلطـة حكوميـة – خارج القطـر المصرى – أو سلطة تنظيميـة – لحزب أو غيره – استطاع أن يلتحم بها ويدخل معها المعارك الفاصلة.

وفى هذا الإطار نتذكر حادثة الباخرة كليـوباترا كنموذج عملى وتطبيقى، ففى أواخر شـهرأبريل عام ١٩٦٠ كانت البـاخرة كليوبـاترا فى ميناء نيويـورك وبإيعاز من اليهود والصهيـونية امتنع العمال فى الميناء عن تفـريغ شحنتها أو تزويدهـا بالوقـود، وأعلن عبد الناصر هذا الأمـر على الشعب العربى فى خطاب موجه من الإذاعة المصرية.

عند منتصـف الليل بدأت مقـاطعة السفن الأمـريكية فى ٢١ مينـاء عربى، بعضهـا تحت الاحتلال العسكرى وبعضها خاضع لحكومات رجعية أو معادية لعبد الناصر، وبدأ رد فعل ٢٣٠ ألف عامل فى الموانىء العربيـة يتصاعد ضـد المؤامرة الصهيونيـة وانطلقت المظاهرات فى بيروت وغيرهـا ، وتفاعل الإضراب العربى الشـامل وبدأ يؤتى ثماره على مستوى العـالم، فرفض العمال فى كندا تنفيذ مـؤامرة شبيهة ضـد الباخرة نجمـة أسوان ، وهدد عمال بـومباى بمقـاطعة السفن الامريكيـة، وحذر العمال الزنوج الرئيس ايزنهاور إذا لم يتدخل فإنهم سوف يفرغون الباخرة كليوباترا بالقوة!!

وبالفعل وفى اليوم السادس من مايو انتهت مقاطعة كليوباترا فى ميناء نيويورك، وقام عبد النـاصر بتحية العمال العرب فى يوم انتصـارهم وأهدى الاتحاد الدولى العام للعمال العرب أرفع وسام فى الدولة ، كما قام بتسليم قـلادة النيل لاتحاد العمال العرب وقال لهم: (إن الـذى كان يواجهكم فى المعـركة لم يكن بحارة نيـويورك وإنما الاستعمار والصهيـونية) و (لقد دافعتم عن القـومية العـربية وأثبتم أن التضـامن العربى أبدى ولا يمكن أن يتفتت)

التدخل الأجنبى

وكـانت الرؤيـة الواضحـة للأهـداف وأدوات الوصـول إليها إحـدى أهم الملامح الرئيسيـة التى فـرضتها النـاصرية على الفكـر والحركـة القوميـة، فـالوعى الاستراتيجى القـادر على إدراك المراحل والخطوات المهيأة لها .. والإمسـاك بالتناقص الرئيسى وفـرزه عما هو ثانوى وفرعـى هو القادر على قيادة النضال العربى وتجنيبه (الإنسياق الانفعالى إلى الدروب الفرعية التى تبتعد بالنضـال عن طريقه وتهدر جزءا كبيرا من طاقته) على حد قول الميثاق..

ومن هنا كان الصراع الرئيسى والجوهرى مع الاستعمار الأجنبى الامبراطورى السابق والامبريالى اللاحق وربيبته الصهيونية، والأمر الطبيعى أن يكـون العمل على تكتيل الجهود والطاقات فى إطار هذا التحدى المصيرى، فحرية الـوطن العربى هى المقدمة الأسـاسيـة لأى تغيير، والقوات الأجنبية على أية بقعة من هذا الوطن تشكل تهديدا خطيرا للأمة ومسارها..

فكانت مواقـف عبد الناصر مع ثورة الجزائر وتحرير اليمن والجلاء عن السـودان وتونس .. إلخ، وكانت أية مشكلة عربية / عربية تنفجـر وتهدد بالتدخل الأجنبى يهرع عبد الناصر إلى حلها ويرفض هذا التدخل مهما كانت المبررات وبصرف النظر عن رأيه فى أطراف المشكلة العربية..

وحول هذا الموقف نقرأ معا ماحدث فى أواخر يونيو عام ١٩٦١ عندما أراد عبد الكريم قاسم ضم الكويت ، وأسرعت الحكومة الكويتية باستدعاء القوات البريطانية التى وصلت بالفعل يوم ١/٧/٦١، وخرجت الصحف المصرية لتعلن (إنــه يوم حزين لكل العرب» وأن «قـوات الاستعمار البريطانى تعود للكويت»

تحركت مصر عبد الناصر وطالبت بحـل عربى ودعت الجامعـة العربية لكى تلعـب دورها ، وعلى محور مجلس الأمن طالبت «بجـلاء القوات البريطانيـة فورا عن الكويت جـلاء تاما ناجـزا»، فى اليوم التالى صـدرت الصحف البريطانية تقـول عناوينها «نـاصر يقول لنـا أخرجوا من الكـويت» ومندوب بريطانيـا بالأمم المتحدة يعترض على كلمة «فـوراً» فى مطالب مصر، بينما ترفض الجمهوريـة العربية المتحدة أى مشروع لا يجعل هدفه الأول إخراج الإنجليز من الكـويت ، وبالرغم من الخلافات مع عبد الكريم قـاسم إلا أن الموقف من القوات الاجنبية لم يتغير، وتم إحـلال قوات عربيـة وانسحبت القوات الاجنبية وهدأت الأزمــة، وبرزت الأمة كياناً قـادراً على حسم خلافاته دون معونـة أو استجداء لقوات المستعمر..

كلمة أخيرة

إن هذه الإطـلالة السريعـة على بعض الإضافـات الناصرية أو بعـض المواقف البارزة فى مسيرتها العربيـة يجعلنا نستخلص بعض قوانين العمل العربـى الصحيحة والتى تدفع بالمسيرة القـومية من الجمود والمهانة إلى الحركة والعزة..

القوانين المستخلصة هى العودة إلى الجماهير الشعبية بها ومعها تبدأ مسيرة التحدى، والبحث عن الوسـائل والأدوات والدروب المتعددة للمسيرة الوحـدوية، والوعى الاسـتراتيجى بالتنـاقض الرئيسى وفرزه عن التناقض الثانوى وتجنب تفجير الأخير فى مقابل حسم الأول بالنضـال اليومى المتواصل..



عيون الوطن

فى حديثه إلى مجلـة المصور العدد ٣٥٦٠ الصادر فى أول يناير ١٩٩٣ قـال الأستاذ الكبير «محمد حسنين هيكل» ـ فى فقرات متفرقة من الحديث ـ يصف فى إجاباته واقع العرب عالمياً ومحلياً فيقول:

١ـ (يكفـى على سبيل المثال أن ننظـر إلى مفاوضــات السلام فى الشرق الأوسط فهنـاك على الورق دولتان راعيتان للمفاوضات. بينما واقع الأمر أمامنـا يقول إن هناك راعيا واحداً لا شريك له. إلى درجة أن المفاوضات تجرى فى قاعة من قاعات وزارة خارجيته)!!

٢ـ (إن الوضع العربى الراهن يعطى لدولة واحدة فى العالم العربى وهى المملكة العربية السعودية دوراً ممتازاً وهـذه حقيقة يصعب الاختلاف عليهـا والسعوديـة مع كل إحترامى لها ولشعبها لا تملك وسائل أو قدرات إدارة شئون العالم العربى بحيث تقوده أو تساعد على قيادته نحو عالم جديد)

٣ـ (إن هذا البلد جرى نهبه فى الفترة الأخيرة ثلاث مرات. ثلاث موجات من النهب المنظم موجة بعد الأخرى. موجة باسم الانفتـاح وكان نموذجها «توفيق عبدالحى» وموجة بـاسم بيوت توظيف الأموال الإسلامية وكان رمزها «الريان».

والآن هناك خطر موجة ثالثة باسم الخصخصة ولست أعرف من سيكون رمزها)

هذه رؤية كاتب وطنى كبير لما آلت إليه أمور الوطن والقضية المكان والمكانة. فالوطن الذى أخذ مكانه بعد أن تفجرت ثورته الناصرية فجر ٢٣ يوليو ضد المستعمر القديم «بريطانيا» وقوى الهيمنة الشريرة الجديدة «أمريكا» قد عاد إلى طوق هذه الهيمنة ومرتعا لها بعد الردة. وهو الذى كان مانعا أمامها مرعبا لها بعد الثورة بقيادة عبدالناصر، وبعد الردة تعود أمريكا خصماً وحكما فى قضية العرب المركزية «قضية فلسطين».

والوطن الذى تصدى للرجعية فى الجزيرة العربية كامتداد أو غطاء لقوى الهيمنة الأمريكية وواجهها على تخومها فى اليمن الواحدة شمالاً وجنوباً سندا فى باب المندب وسدا فى مأرب..

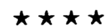
تعود الان الرجعية لتحتل مكانة مصر فى القيادة، ومكانها فى الصدارة بغير مانع أو مناعة أو أهلية وتصبح السعودية هى التى تقود الوطن العربى، وتدير شئونه بهيمنتها على جامعة الدول العربية وأمينها العام. عجزاً أو قصداً، وبذلك بددت الردة مكانة مصر ورصيدها الذى عاشت له وبه الثورة بقيادة عبدالناصر.

والوطن الذى استطاع أن يحقق بالقطاع العام والتنمية المستقلة معدلات نمو بلغت ٦ر٧٪ لم يحققها بلد فى العالم الثالث أو الدول المثيلة. وتصل بالقطاع العام الصناعى إلى ٩٢ مليار دولار. تنتهى هذه المنجزات الثورية فى ظل الردة إلى تخريب وتهريب وتسريب وفساد نموذجه «توفيق عبدالحى» و«الريان» و«الخصخصة» التى تبرز وجوه الصهاينة وعملائهم فى وزارات السياحة والسياسة والاقتصاد والصناعة فتضيع فى ظل الردة بعد عبدالناصر منجزات الثورة ومكانتها سياسيا بالتبعية لأمريكا «القطب الواحد» مؤقتا، وعربيا بالأنطواء تحت العباءة السعودية، ومحليا بالخضوع لسيطرة وهم الانفتاح وعناصر مافيا جمعيات نماذج الأعمال. أو الأهمال من أمثال عنصرى الفساد والسموم «توفيق عبدالحى» والتسرب أو التسريب والتهريب «الريان» والتخريب الخصخصة أو «الصهينة» فهل صدقت الردة فى أى شىء ادعته سياسيا واقتصاديا محلياً وعربياً ودولياً؟!

وأفلا تدمع عيون الوطن حسرة على الثورة وحزناً على الواقع الذى آلت إليه مكانة مصر وسياستها بالتحالف مع الهيمنة الأمريكية والرجعية العربية وسيطرة المافيا وتسلطها على مكتسبات ومنجزات الثورة.

تلك ذكريات وخواطر ذكرى مولد ناصر العرب وما آلت إليه فى غيابه أمورأمته بعده ؟!

«عربى»



كلام ستات

دق جرس التليفون ردت ابنتى الصغيرة.. توقفت... نظرت إلى «ماما واحد بيسأل على بابا بيقول إنه اسمه جمال عبد الناصر حسين – ولما سألته على تليفونه قاللى بابا عارفه».

واكملت ابنتى بانطلاقتها ومرحها قائلة:

«ماما هو ممكن يكون فيه بالشكل ده فى الهزار ؟

سألتها: «ليه ياشيماء»؟!

قالت: «بيقول اسمه جمال عبدالناصر حسين، وكمان الاسم ثـلاثى.. كان ناقص يقول زعيم الأمة العربية أو منشية البكرى»

قلت: «ماما داصديق بابا ومن «الواسطى»

قالت: «يعنى من بنى سـويف – طيب يبقى عارف أن بـابا ناصرى» وقـد فهمت أنها لاتصدق أن احدا يمكن أن يكون بهذا الاسم الثلاثى موجوداً فعلا. فقلت لها.

«عندما قامت الثورة وقامت حـرب ١٩٥٦ وقف عبد الناصر على منبر الأزهر.. وبكل شجاعة أعلن أن مصر ستقاتل، وكانت انجلترا وفرنسا ومعها الصهيونية إسرائيل يحاربون مصر بسبب تأميم قناة السويس. وقالها مدوية سنقاتل ولن نستسلم

سألتنى: «اشمعنا الأزهر»؟!

قلت: لأن رجال الأزهر كانوا هم طليعة المظاهـرات التى تتحرك ضد المستعمر، وكانوا يقودون هذه المظاهـرات ويخطبون فى الشعب ويطبعـون المنشورات الـوطنية. ومنهم النـديم ومحمد عبـده وعمر مكرم، وهذه كلها اسماء تسمعينها كثيرا فى التليفزيون والراديو وتقرئينها فى الصحف».

قالت: «ولأن الفرنسيين ونابليون عندما جاءوا دخلوا بخيلهم الأزهر»

قلت: نعم ، ولأن جمال عبدالنـاصر كان بطـلا فأغلب مواليـد ٥٦ من الأولاد سموا على اسم جمال عبدالنـاصر– وكانت الصحة بتسمح بالاسماء المركبـة جمال عبدالناصر – مصطفى كـامل – محمد فريد – سعد زغلول– عبـدالله النديم أيضا سنة الوحدة عام ١٩٥٨ عندما قـامت الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريـا .. أغلب المواليد الذكور فى الإقليم الشمالى سوريـا.. والجنوبى مصر كانت جمال عبدالناصر

قالت بروحها المرحة: «اشمعنا الذكور.. دايما الصعايدة يتحمسوا للولد عن البنت».

قلت: لأنه كان رجلا.. قلتها عصبية

وأحسّت شيماء بالحرج وقالت اشمعنـا ماسمعناش عن أسماء رؤساء بعـده فى جيلنا.. هو جيلكم خد كل حاجه».

وعرفت أنها تلاطفنى

فقلت: «ما الفرق بين الاسم والإثم»؟!

قالت مشاغبة «ماما حضرتك قررت تدينى عربى»؟!

قلت: «ليه. عايزه تهربى من السؤال»؟!

وبذكائها قبلت التحدى فقالت «لإثم الأخيرة بالثاء يعنى فعل»

قلت محاولة إنهاء المناقشة: «نعم»

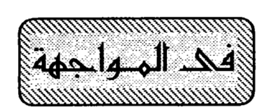
قالت ضاحكة مشاكسة : «فهمت هناك فرق أنه الفرق بين السمن أو الثمن»

«يعنى احنا بقى فى مرحلة الإثم أو الثمن»!!

وامتـدت يدى إلى الـراديـو ليأتينى شجيا صـوت عبـدالحليم «يـاجمال ياحبيب الملايين.. احنـا الملايين.. احنا الملايين.. يـاجمال ياحبيب الملايين.. واختلط صـوت شيماء وذاب فى اللحن والكلمات والصدق للراحل وا لمرحلة».

الرغاية





الناس والثعابين ونبالة التاريخ

بقلم لواء :
كمال حافظ

بطون النساء في مصر كم أنجبت؟! وكم عشنا نرقب نتاج حصادها، لم تبخل يوما على العكس أعطت بلا حدود وبلا ضوابط مصنوعة ولبت دائما احتياجات أمتها، فحين تظهر طلائع الغزاة كان جند مصر ـ نتاج البطون المباركة ـ تخرج جحافل لتلقى أسنة الرمال لهؤلاء القادمين بالجشع والظلم، وكانت الأرحام تئن شوقا لفلذات أكبادها ولكنها كانت أيضا تهلل فرحاً وفخرا بأبطالها.

وحين يسود الفساد تنتج الأرحام مصلحين ثوارا ـ وبقدرما حرمت مصر من خطى الأنبياء فقد أعطاها الله أنبل الثائرين وأشجع الرافضين. حين أطل عبد الناصر على بلد قسم له أن يكون وطنه، لم يكن ظاهرة فريدة فقد كانت أرضنا دائما حبلى بالثورة، ومها طال العذاب واستفحلت ظواهر الإهانة فقد كانت القرون تمضي والبشر يطلون في عيون البعض ويتساءلون متى يخرج من أصلاب الرجال وأرحام النساء من يستطيع أن يرد الإهانة ويكبح المظالم ويرفض لبلده ما هي فيه؟!

حين ولد عبد الناصر كان عرابي قد ثار فاحتلت الأرض وكان مصطفى كامل قد رفض فمرض ومات ولكنهم تركوا ميراثاً نضالياً في مقدمة مسيرة الشعوب المناضلة، وانطبع شيء كالأنين على كل ملامح المصريين وعلى انحاءة أجسادهم.

حين ولد كانت ثورة ١٩١٩ على الطريق، ثورة حقيقة قادها شعب وقاد زعماءها إلى مصاف الكواكب يثورون ويرفضون استمرار الحال، وحين هم طفلا وفتى يافعا كانت الثورة قد أسلمت راياتها لنبلاء يرفضون شظف العيش والصوت العالي والامال الشعبية التي تنبعث منها رائحة العرق.

حين ذهب إلى الجيش في مطلع صباه لم يضع وقتا وانخرط منذ دقائقه الأولى يدير ثورة ويجمع الثوار ويعد لليلة هي بتاريخنا كله، رأى الملك ملكا تقوده مباذله يعرفها القاصي والداني، ورأى الأحزاب جمعاً من البشر يعيشون في حماية القصر وساكنه ولي النعم، ضاعت الثورة بين أغلبية مرفوضة وأقلية مرفوعة، وحين بدأ العمل السري العظيم إذا بالدبابات تحاصر قصر الملك وتحصل لنفسها على وزارة لبت كل طلبات الاستعمار ولم تترك لنفسها خط الرجعة ، فقد تصورت الاستعمار

تهدأ خطاه المجنونـة حين تجيد هى كلمة " حاضر، وتمام يا فنـدم " وما أن امتصت انجلترا كل قدرات الوفـد على الاستجابـة حتى ألقت به فى الأركان المظلمـة التى بقى فيها لثمانى سنـوات عجاف وأحس الثائر الصغير بالإهانة ورأى مصر وطنـاً لا يحتمل ما يحدث، وأن صمته عن ضعف وليس عن رضا، وما هكذا يستقل شعب بهذه العراقة.

أصبح فجأة وهـو فتى يقترب من المراهقة زعيما لتنظيم كبير من الأحـرار يريـد ثورة تـذهب بكل الظواهر الانتكاسية فى حياة شعبها ثم تستدير للاستعمار تقارعه القول والحجة، وكان له ما أراد ـ

فى ليلة واحدة استيقظ النـاس ليروا ملكهم وقد زال عنه الملك وبقيت له أحضـان النساء والأحزاب وقـد جاءت تسعى من أجل نفس الكـراسى التى سبق لها أن سعت من أجلها ـــ ورأى عيون النـاس حوله تطـالبه فى إصرار أن يكون التغيير جذريا فكان، وبـأن يستقل الوطن فاستقل، وبأن يستأصل الفساد فاستـؤصل وأن تكون القاهرة عاصمـة ثورة عالمية فكانت (حين استشهـد كانت ليلة الاسراء والمعراج، ويوم سكت نزيف الدم فى عمان ويوم ذكرى انفصال سـوريا) حتى موته كان ثورة لكل ما يستحق الثورة ورفضـا لكل دواعى الردة والانتكاس ـ وخـرجت الثعابين من جحورها ـــ أو أخرجت طعنا وعقرا فى الجسـد الثاوى ولحمه مر ومن عجب أن رأت أسنانها تتحطم والجسـد النائم سالما من اثار سمومها .

هيا معى نصافح البطل الرافض والثائر العظيم .

★ ★ ★ ★



حـــديـــث مـــع الريـــس

بقلم المهندس :
عـــــادل آدم

كنت أنـوى يـا زعيمى أن يكـون حـديثى إليك فى ذكـرى ميـلادك الخامس والسبعين تحيـة لك.. وتجديداً لعهدى لك ـ وتعبيرا عما يمثله كفاحك لنا وشعبنا.

كنت أنوى أن أسرد بعض الذكريات عن هذا اليـوم المجيد، فأروى لك مثلا عن زيارتى لقريتك بنى مر، فى صعيد مصر، حين ذهبت إليهـا بعد غيابك عنا وأيضاً فى ذكرى ميـلادك وأحكى لك كيف وجدنا ابن عمك فى جلبـابه الريفى المألـوف يمسك بمكنسة ينظف بها عتبـة الدار ومـا حولها ـــ وكيف لقينا بالترحـاب.. وكيف صحبنا إلى داخل الدار لنرى المكـان الذى ضم الزعيم فترة من حياتـه. وفى الداخل جلسنا نشرب الشاى وفوق رؤوسنـا كانت تطل علينا صورتك الباسمة الواثقـة. وكم أحسسنا يومها بالدفء والسعادة ونحن نجلس على أريكة علك جلست فوقهـا يوما.. ونظراتنا تمسح المكان تتطلع إلى غرف ضمتك بين جدرانها ذات يوم.. وعيناك فى الصورة تتنقل معنا تحوطنا بأبوة وحب وفهم.

كنت يا ريس أتصور أننى سوف أروى لك وأسمع منك وأشكو لك الزمان الردىء الذى نعيشه بعدك والفعل الردىء الذى يمارس ضد أمتنا والقول الردىء الذى يصفع اذاننا.. استمد منك القوة والصبر واسترجع أقوالك وأفعالك فأخرج من لقائك وكأنى نسخت بطاقة صبر وجلد لا تنفد.. وأعاهدك فى نهاية الجلسة عهداً يتجدد فى كل مرة أن أكون على العهد.

هذه المرة يا ريس.. ولعلها أول مرة.. أتى إليك بحديث جديد وغريب.. وهذه المرة ارتاح أكثر من أى وقت أن أرجع إليك وأسمع منك ..

زملاؤك وأبناؤك.. جنودك وأحباؤك والذين رغم اليتم والقهر والحصار قد تمسكوا بمواقعهم ودافعوا عنها باستماتة، وقبلوا بالتضحيات الجسام وفاءً لعهدهم معك وقسمهم يوم ذكراك على النضال تحت راياتك حتى النصر أو الموت من أجل إعادة النهار لشعبنا العظيم.. ومن أجل الأمل الذى كنت أنت هاديهم إليه.. جنودك هؤلاء يا ريس يحتفلون بعيدك هذه المرة وقد دب بينهم خلاف غريب.. رغم أنهم نجحوا بعد كفاح مرير في تتويج نضالهم بامتلاك حزب رسمى يحمل اسمك العظيم.. ويعطى لأمتك أملاً فى يوم ترفرف فوقه أعلامك وأعلام الحرية والعدالة والعروبة؟! أراك تعبس يا زعيمى، فلا تؤاخذنى ولكن والله هذا ما حصل بالضبط وكل ما يحدث من شقاق يدعى عليك فيه وباسمك يحدث وتحت راياتك يدور ما يدور.

حيرتنى يا ريس عدت للابتسام!.. لكن هى ابتسامة اسى أو سخرية اعذرنا يا ريس فهناك مسافة كبيرة للغاية بينك وبين أى منا.. فاصبر علينا قليلاً. فلعلنا لم نفهمك جيداً أو أن الأمور اختلطت علينا.

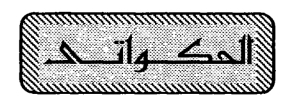
أنا معك يا أفندم. المشكلة مشكلتنا.. وأنت لم تعطنا مجرد اسم، وإنما أعطيتنا منهجاً ودليلاً.. وسوف نحتكم جميعا لمنهجك لندرك جميعاً قدر الخطأ الذى ارتكبناه، وحجم الخيانة التى أقدمنا عليها حين سمحنا بوقوع هذا الخلاف.

ابتسم يا ريس أرجوك.. نحن رغم ذلك متفائلون.. وهى ليست سوى سقطة أو كبوة.. أو غلطة.. يتعهد كل المخلصون على تصحيحها وتجاوزها لاستحقاق الانتماء لاسمك العظيم.

لكن عفوا يا ريس هناك سؤال.. حين قلت سيادتك.. «إذا مات جمال عبد الناصر فكلكم جمال عبد الناصر» هل كنت تعنى كما يتصور البعض أن كل واحد منا هو جمال عبد الناصر.. أم أننا كلنا معاً مجتمعين فى تنظيم واحد نصبح جمال عبد الناصر.. فهمى يا ريس أنك تعنى الثانية.

وعلى ذلك فنحن بالفعل يمكن أن نستحضرك معنا.. لتكون دائما بيننا قائداً ومرشداً.. وموجهاً.

ولعلنا يا زعيمى نحتفل بالذكرى القادمة وأنت بيننا.. ونكون قد استحققنا أن نحمل اسمك ونرفع راياتك.



مرفوع الهامة يمشى

مرفوع الهامة يمشى «منتصب القامة يمشى» فى كفه تنبت أحلامى، ومن وجهه تشرق شمسى.

وفى يوم ميلاده سيلتقى الزعيم بأبنائه.. ويطمئن على حال رعيته وأحبائه ويتصل ببنى وطنه وأشقائه، لن يذهب إلى ميت أبو الكوم.. ليقضى اليوم فى «اللت والعجن والنوم» ولن يتظاهر بأكل

سلطة الباذنجان بالثوم.. أو يردد أو أكذوبة عشقه لثمار الدوم.. ولن يصحب منافقيه إلى رحلة بالفيوم.. وهو لن يرتدى تلك العباءة.. ويردد الأكاذيب فى صفاقة وبذاءة.. عن نومه فوق «الفرن» بالملاءة.. ولن يستدعى «ابنته همت!!».. ليعيد «لت» حكاية تمت.. أو يبرر مصائب عمت.. ولن يقول عن انتفاضة الجوعى «دى انتفاضة حرامية» دبرتها قلة حاقدة اشتراكية.. اعتادت على الأفعال الاجرامية (!!) وهو لن يبارك المخططات الانهزامية.. ولن يشن ضد الاشقاء أى حرب كلامية.. فهذه عادات بدران الذى كان.. وذهب طى الموت والنسيان.. بعد أن أغرق البلاد فى الاحزان.

وفى يوم عيد الميلاد.. سيهتف الداعى حى على الجهاد.. فتخضر السهول والوهاد.. ويعود البهاء للبلاد.. وتدب الحياة فى نفوس العباد.. التى أضناها طول البعاد.. وثبط هممها طول «القعاد» وسوف يدوس «ناصر على العلم الصهيونى.. ويطرد سفير «آل كابونى» ويفضح الذين تاجروا فى احزانى وباعونى (.)

وسوف يحتفل الشعب بالمناسبة الكريمة.. ويحتضن قائده وزعيمه.. الذى سيصحح أحوال أمته السقيمة.. التى تفرقت بها المسالك والأهداف.. وأصبحت من أعدائها تخاف.. بعد أن عادت إلى سياسة المعسكرات والاحلاف.

وقد استعدت جماهير الشعب فى كل الأقطار.. لاستقبال حبيبها وزعيمها البار العائد لها بالكرامة والانتصار.. ليحيل ليلها الطويل إلى نهار.. بعد أن طال بها الصبر والانتظار. وفى الجزائر موطن الأحرار والحرائر.. أكدت الجماهير أنه سيعود بالبشائر ليعيد القوة إلى الوطن الخائر.. ويلسم بقلبه جرح الأمة الغائر. وفى دمشق وحلب وحماة.. أكد مندوبنا «قيس بن عبداللاه».. أن حشود الجماهير ستقضى يوم الميلاد فى الفلاه، وتنتظر وصول الزعيم وتبتهل بالصلاة.. حتى يقود أمته إلى الفلاح والنجاة.. بعد أن وصل بها اليأس إلى منتهاه.. وحقق العدو فى غيابه مبتغاه. ومن طرابلس الغرب وبنى غازى.. قال زين الدين بن غازى.. أنه خطب فى الجماهير وهاجم الغرب الانتهازى.. وموقف مجلس الأمن الانحيازى.. وقد طالب الشعب العربى.. بضرورة التصدى للعدوان الغربى.. والوقوف مع ليبيا فى أزمة (لوكيربى).. ودعا بصوته الهادر كالاعصار.. الشعب العربى فى كل الأقطار.. إلى تحدى قرارات الحصار والإعتصار.. التى فرضها الغرب على الأشقاء دون أى أعتبار.. لوجود مرضى يعانون الاحتضار.. وطالب بمنع طائرات الغرب من الهبوط فى أى مطار.. وحرمان سفنه من دخول موانينا أو مواصلة الاسفار(.) وقال مندوبنا فى السودان.. أخونا «الريح بن عثمان».. أن جموع الشعب شاهدته فى بورسودان.. والخرطوم وجوبا وكردفان.. والأبيض وملكال وأم درمان.. حيث قاد الجموع الهادرة إلى الميدان.. والقى عليهم خطاباً قوى البيان.. أكد فيه ضرورة وحدة الصف كالبنيان.. لمواجهة أعداء العرب فى كل مكان.. وقد أعاد التأكيد على ضرورة وحدة الوادى فى وجه مخططات الغرب المعادى.. مشيراً إلى أن مشكلة حلايب مؤقتة سببها فرقة الصف وتشتته.. وحذر من تصعيد الأزمة دون أى داعٍ أو «لازمة» (.) وفى بغداد والبصرة وموصل العراق.. وسائر ربوع القطر المكبل بالأطواق.. وقراراتَ مجلس النصب الدولى «الافاق».. أكدت الجماهير أنه شوهد وقد ملأت قامته الافاق.. وكان يحنو على المرضى والجوعى فى اشفاق وعلى الجند والأوامر فى الارفاق.. مؤكداً على قرب العودة والتلاق، وتحقق النصر والانعتاق. وفى طنجة والرباط والدار البيضاء.. أكدت جموع غفيرة ممن حضروا اللقاء.. أن ناصر حذر من مخططات الأعداء.. التى تستهدف زرع الفرقة بين الأشقاء.. وأكد أن الوحدة هى السبيل الوحيد للبقاء.. فى مواجهة من يدفعون العرب إلى الفناء.. وأشار إلى أنه لابد لاحزان الوطن من الانتهاء.. ولابد لسمائه الملبدة بالغيوم من صفاء. وفى بيروت وصيدا

وجبل لبنان.. يقـول مندوبنـا «وليد بن اصلان» أن الجماهير استقبلت نـاصر بالاحضـان.. وبثت له الاوجاع والاحـزان وأكدت أن الـوطن فى غيابـه صار بـلا عنوان.. وأصبح صيـداً سهلاً لفلـول البوم والعقبان.. وبقايا جيوش الثعابين والفئران.. وطالبت «نـاصر» بقيادة الأمة.. لإخراجها من هذه الغمة. وفى نواكشوط تحدث «ناصر» عن الوحدة الكاملة.. وأمالـه الطموحة فى التنمية العربية الشاملة.. التى ستعتمد اسـاساً على أيـدى الوطنيـة العاملـة.. مؤكـداً أنه لا مكـان فى هذا الـوطن للأيـدى الخاملة.. وبصراحته المعهودة.. أكد الزعيم أن العقبة الكـؤدة التى تحول دون وحدتنا المنشودة.. تتمثل فى اقزام الرجعيـة الموجودة.. التى تفتح لـلاستعمار أبواب الوطن الموصـودة. وقد زار الـزعيم الوطن المحتل.. وأشرف بقامتـه المديدة على السهـل والتل.. وأكد أن حـال العرب «المعتل».. سببـه ميزان القـوة الذى اختل.. وقال «ناصر العرب».. إن يوم النصر قد اقترب.. وسيعود اللاجىء الذى اغترب.. ليدوس بقدمه على «القراد» والجرب (.) كما زار أبنـاءه المبعديـن.. طلائع عين جالـوت وحطين.. من كتـائب تحرير فلسطين.. وقد حيا بـوجهه الباسم.. بسالة مـوسى وأبو القاسم.. وشد على يد زيـاد ورفيقيه صالح واياد.. ثم قرأ الفاتحة على روح أبو جهاد.. الذى أشعل فتيل الانتفاضة والجهاد. وفى جربة وصفاقس وتونس.. أكد مندوبنا «الحبيب بن يونـس» أن ناصر قد وقف بين الجموع.. التى احتفلت بعيد ميلاده وأوقدت الشمـوع وحذر من النكـوص عن الوحدة أو الـرجوع.. وطالب بمقـاومة مخططـات الهيمنة والخضـوع.. وقال إن دعـاة التفاوض والاستسـلام.. سيدركـون أن ما يسعـون إليه هـو ضرب من الاوهام.. مشيراً إلى أن الشعب العـربى يدرك حقيقة هـذه «الأقلام».. رغم الحصار المفـروض عليه فى وسائل الإعلام.. التى يسيطـر عليها عتاة المنافقين والازلام (.) وأشار إلى أن الجامعـة لم تعد للعرب.. وإنما هى لمن ولى الأدبـار وهرب.. ثم استدعـى المأجورين وانقلب.. ويصر الان على مـواصلة الحرب والحَرب (.).. وقـال إن سياســة أمينها «الـوبيلة» جلبت الخراب بـالطن و«الكيلة» وصـارت عنوانـاً «للخيبة» الثقيلـة.. وأكد أن التفريط فى الـلاءات الثلاث.. سيؤدى إلى الفـرقة والالتباس ويمنح عـدونا فرصة التقاط الانفاس.. وأوضح مجدداً أن ما أخذه العدو هنا بالقوة.. لابد أن نسترده منه بالقوة..

ومضى.. مرفوع الهامة يمشى.. فى كفة تنبت أحلامى.. ومن وجهه تشرق شمسى.. وأنا أمشى..



الفهرس

اسم الموضوع	رقم الصفحة

هل تمنعك مشاغل الحياة من القراءة ؟
لماذا لا تجرب متعة الاستماع الى
الاعمال الادبية والثقافية

الكتاب المسموع

أفكار معاصرة
أحمد بهاء الدين

اراء تسبق زمانها وتؤكد الأيام صدقها عن الشباب والحب والمرأة والعلم والحرية والاسلام وأخطار الحرب النووية

أرخص ليالى
د . يوسف ادريس

نماذج بشرية نابضة بالحياة متشوقة للعدل والأمان فى ١٠ قصص قصيرة

على أسم مصر
صلاح جاهين

ملحمة شعرية غنائية موسيقية حافلة بأصدق المشاعر والانفعالات في حب مصر والمصريين
أداء : يحيى الفخراني – محسنة توفيق – محمد وفيق – سعد اردش – حمدي أحمد – أمينة رزق – عبد الغفار عوده – محمد الشويحي – عبد السلام محمد – لطفى عبد الحميد – وشاعر الربابة أدريس شمندى

أبو زيد الهلالى
سمير عبد الباقى

صورة شعرية موسيقية من وحى السيرة الشعبية فى اطار جيد اعدها باقة من المع الفنانين

غناء احلام سعد - ممدوح بيرم - أحمد أمين - أشرف السركي - بكر حسن - سمير عمر
موسيقى والحان محمد الشيخ وأشرف السركى



مع تحيات دار صوت العرب للثقافة والإعلام
ت / ٣٥٥٦٤٢٥ / ٣٥٦١٥٢٢ / ٣٥٦١٥٣٣ / ٣٥٦١٥٤٤
فاكس / ٣٥٥٦٤٢٤